

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ، فَلَا هَادِي لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُونُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.^١

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.^٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.^٣

أما بعد فإن محبة الله تعالى أسمى أمنية وأعظم فوزٍ لكل مخلوق، وكما قيل: ليس الشأن أن تُحبَّ بل أن تُحَبَّ، فإن محبة العبد لله تعالى دعوى يدعىها كل إنسان، ولا تقبل دعوى بغير دليل، وأما محبة الله تعالى للعبد فهي التي تهفو إليها النفوس، وتتطلع إليها القلوب، وتتسابق في سبيل تحقيقها المتسابقون، فمنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ومنهم مقتصد، ومنهم منقطع، نسأل الله العافية والسلامة، والتوفيق والعون والسداد، وما يحدوا بالعباد في مضمار سباقهم للفوز بمحبة الله تعالى معرفة أسباب محبته تعالى للعباد، وما يعين على تحقيق كل سببٍ منها، مع ضرب الأمثلة عليها من سيرة الرعيل الأول من هذه الأمة، لشحذ الهمم للحاق بهم، والتأسي بهم في فِعَالِهِمْ، والسير على دربِهِمْ، وسلوك سبيلهِمْ.

فتتشبهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مُثَاهِمْ **** إِنَّ التَّشْبُهَ بِالْكَرَامِ فَلَا حِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية / ١٠٢

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية / ١

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الآية / ٧٠، ٧١

وقد جمعت في هذا البحث سبع عشرة خصلةً من الخصال التي تكون سبباً في محبة الله تعالى للمؤمن استقرأتها من نصوص الكتاب والسنة، وقد راعيت في الأحاديث التي أوردتها الصحة العلمي أن في الصحيح غنيةً عما لم يصح، وحرصت أن تكون النصوص محل الاستدلال صريحة بلفظ الحبة، واجتهدت في استيفاء الكلام عن كل خصلة منها، بما يُرغّب في الاتصاف بها، والسعى في تكميلها، وقد عزوت النصوص محل الاستدلال، والاستشهاد إلى مصادرها؛ ليسهل الرجوع إليها، وعزو الأقوال إلى أصحابها، مع بيان مصادرها كذلك.

وبعد فهذا جهدي مع إقراري بعجزي وتقصيرني، فإن أصبحت فمن الله وحده، وله الحمد والمنة، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئآن.

والله الكريم أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لي زاداً ليوم المعاد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سعيد بن مصطفى محمد دياب

١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ

الموافق: ٢٠٢٣ / ١٢ / م

إثبات صفة الحبة لله تعالى

أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز أن من صفاته العلية صفة المحبة، وذهب السلف رضوان الله عليهم في صفات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم والسنّة المشرفة، إلى إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تكليف ولا تأويل ولا تعطيل؛ قال نعيم ابن حماد شيخ البخاري عليهما رحمة الله: (مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهً).
 وما وصف الله تعالى به نفسه أنه تعالى يحب المتقيين ويحب الحسينين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى، وهذه الصفة شأنها شأن سائر الصفات ثبتتها على الوجه الذي يليق بالله تعالى فإنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ۱۱]، فهو تعالى ليس كمثله شيء في صفاتة ولا في أسمائه ولا في أفعاله، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك.
 ومحبة الله عز وجل صفة له قائمة به، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة.
 وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة الحبة؛ بدعوى أنها توهם نقصاً؛ إذ الحبة في المخلوق معناها ميل إلى ما يناسبه أو يستلزم.

فأما الأشاعرة؛ فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبد لا معنى لها إلا إرادته لا كرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضا والغضب والكراهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون الحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله هؤلاء؛ بناءً على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وليس من هدي السلف تأويل صفات الله تعالى كما فعلت الأشاعرة، ولا تعطيلها كما فعلت المعتزلة والجهمية، ولا تكليفها كما فعل أتباع هشام بن الحكم الجواليلي، بل أهل السنّة وسط

بين تلك الفرق كلها، فيثبتون الحبة صفة حقيقة لله عز وجل على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصاً ولا تشبيهاً.

كما يثبتون لازم تلك الحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته.

ولا يغرنك زعمهم أنهم أرادوا تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والفرار من التجسيم والتشبيه، فكم من مريد للخير لا يدركه، والسلامة في اتباع سلف هذه الأمة الذين زakahم الله تعالى، وهم الذين عاصروا التنزيل، ونزل القرآن بلسانهم، وهم أعلم الناس بتأويله، وأعرفهم بمحكمه ومتناهيه، وناسخه ومنسوخه، وهم أسلم الناس اعتقاداً فقد زكي الله تعالى معتقدهم؛ قال تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]، ومن الخطأ العظيم، ومن سوء الأدب قول القائل: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، بل مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم، فهم بعد المرسلين أعلم الخلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، رد على المشبهة. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، رد على المعطلة، فمحبة الله تعالى حبة حقيقة تليق بذاته تعالى لا كما يقول المعطلة من الجهمية والمعتزلة الذين ينفون حقيقة الحبة، والأشاعرة الذين يقولون صفة الحبة ويقولون: الله لا يحب، ولا تليق به صفة الحبة، ويحرفون ما جاء في النصوص، ويفسروها: تارة بالإرادة، وتارة بالثواب، أو إرادة الشواب، فينفون عن الله حقيقة الحبة، ويقولون في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢]، أي: يتباهى على ذلك، وقالوا مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبه: ٤]، وهذا مبني على أصولهم الفاسدة أن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه، فيقعون في التناقض، ويفرجون من شيء؛ فيقعون في نظيره، أو في شر منه.

ومن أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الحبة، ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَاهُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ فَيُحِبِّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْعَضَ عَبْدًا دَعَاهُ جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي

أُبَعِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ
قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ». ^١

فهل يقال في مثل هذا الحديث: إن محبة الله تعالى هي إرادة الثواب؟ ويأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يريد الثواب لهذا العبد؟ وهل يأمر جبريل أهل السماء أن يريدوا الثواب لهذا العبد؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، معناه إرادة الثواب؟

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث من العلم والفقه: أن الله عز وجل في السماء ليس في الأرض، وأن جبريل عليه السلام أقرب الملائكة إليه وأحظاهم عنده.

وفيه: أن المؤذن والمحب بين الناس الله يتذكرها ويسألها، والقرآن يشهد بذلك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، قال المفسرون: يحبهم ويحبهم إلى الناس. ^٢

وقال ابن هبيرة: في هذا الحديث من الفقه: أن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً أعلم كل مرضي عنه عنده سبحانه بحبه إياه؛ لئلا يتعرض واحد منهم بغض من يحبه الله، فيبدأ جل جلاله بإعلام جبريل ليكون جبريل موافقاً فيه محبة الله عز وجل، ولتعليم أهل السماء ليكونوا عابدين لله بمحبة ذلك الإنسان متقررين إليه بحبه. ^٣

١ - رواه البخاري - كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢٠٩، ومسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبداً حبيبه لعباده، حديث رقم: ٢٦٣٧

٢ - التمهيد لابن عبد البر ت: بشار (٤٥٩ / ١٢)

٣ - الإفصاح عن معاني الصحاح (٢٦١ / ٧)

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لِائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾.^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا مَرَّ بِهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ فُلَانًا. قَالَ لِقَرَابَةِ قَالَ لَا. قَالَ فَلِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ تَرُكُوكَ قَالَ لَا. قَالَ فَلِمَ تَأْتِيهِ قَالَ إِنِّي أُحِبُّهُ فِي اللَّهِ. قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ بِمُحِبَّكَ إِيَّاهُ فِيهِ».^٢

وَعَنْ أَبِي ذِرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَثَلَاثَةٌ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَمْ يَسْأَلُهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ، فَمَنْنَعُوهُ، فَتَحَلَّفَهُ رَجُلٌ بِاعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرَّاً لَا يَعْلَمُ بِعَطَيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعَدُّ لَهُ، نَرَكُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي، وَيَتَلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيرَةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهُمْ مُوْمِنُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ: الَّذِينَ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْقَفِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْعَنْيُ الظَّلُومُ».^٣

١ - سورة المائدة: الآية / ٥٤

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٢٥٦٧

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٥، والترمذى - أبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٥٦٨، والنمسائي - كتاب الزكاة، ثواب من يعطي، حديث رقم: ٢٥٧٠، والحاكم - كتاب الزكاة، حديث رقم: ١٥٢٠، وابن حبان - النوع الثاني لفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن التبات في الحرب عند احترام المسلمين مما يحبه الله، حديث رقم: ٣٨٠، وابن خزيمة - كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المسند على الشريطة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب ذكر حب الله عز وجل المحففي بالصادقة، حديث رقم: ٢٤٥٦، بسنده صحيح

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَحَسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَفْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبه: ٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجْهِمُونَ وَيُجْهُونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَكَمَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّهِوْنِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .^١

ثُرَّةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَدِ :

١ - حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَدِ :

من ثمار محبة الله تعالى للعبد، ومن آثار تلك المحبة أن يحب ذلك العبد كل شيء فتحبه الملائكة، ويحبه أهل الأرض، ولم لا؟ وهو حبيب الرحمن تبارك وتعالى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبَبَهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبَبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».^٢

٢ - أَنْ يَحَالِفَهُ التَّوْفِيقُ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَحَرَكَاتَهُ وَسَكَنَاتَهُ :

ومن آثار تلك المحبة أن يوقفه الله تعالى في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، فهو يسمع بتوفيق الله تعالى، وبيصر بتوفيق الله تعالى، ويتحرك بتوفيق الله تعالى، فأئن مثل هذا أن يتطرق إليه الخذلان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَعَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمِعْهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرْهُ

١ - سورة آل عمران: الآية / ٣١

٢ - رواه البخاري - كتاب بذلة الخلقة، باب ذكر الملائكة، حدث رقم: ٣٢٠٩، ومسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه لعباده، حدث رقم: ٢٦٣٧

الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعْيَدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرُهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرُهُ مَسَاءَتَهُ».^١

قال عبيد الله بن الحسن، قاضي البصرة: كانت عندي جارية عجمية وضيئه، وكانت بها معجباً، وكانت ذات ليلة نائمةً إلى جنبي، فانتبهت فلم أجدها، فالتمستها فلم أجدها وقلت:

شَرّاً.

فلما وجدتها، وجدتها ساجدةً وهي تقول: بحبك لي اغفر لي.

قلت لها: لا تقولي هكذا. قولي: بجي لك اغفر لي.

فقالت: يا بطال، حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لي أيقظ عيني وأنام عينك.

قلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

قالت: يا مولا ي: أساءت إلي، كان لي أجران صار لي أجر واحد.^٢

ورأى رجلٌ امرأةً في المطاف وجهها كالقمر متعلقةً بأسثار الكعبة تبكي وتقول: بحبك لي إلا ما غفرت لي.

فقال: يا هذه أما يكفيك أن تقولي بجي لك فما هذه الجرأة؟

١ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم: ٦٥٠٢

٢ - تاريخ بغداد (١٢ / ٤)، إحياء علوم الدين (٤ / ٤١٤)، وقولها: كان لي أجران صار لي أجر واحد لما روى البخاري ومسلم عن أبي موسى، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبَيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرٌ، وَعَبْدٌ مُلْوُكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَّةٌ فَعَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِدَاءَهَا، ثُمَّ أَدْبَحَهَا فَأَحْسَنَ أَدْبَحَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَنَرَوْجَهَا فَلَهُ أَجْرٌ، ثُمَّ قَالَ الشَّعْبُيُّ لِلْحُرَاسَيِّ: خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ بِعَيْنِ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

فالتفتت إليه، وقالت له: يا بطال! أما سمعت قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؟ فلو لا سبق محبته لما أحبوه.

فخجل واستغفر.^١

١ - فيض القدير (٦ / ٣٠)

الإِحسَانُ

مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَالْإِحْسَانُ مشتق من الحُسْنِ وهو ضد القبح، يقال: حَسَنَ يَحْسُنُ حُسْنًا، فَهُوَ حَاسِنٌ وَحَسَنٌ.^١

معنى الإحسان:

وَالْإِحْسَانُ فِعْلُ النَّافِعِ الْمُلَائِمِ، فَإِذَا فَعَلَ فِعْلًا نَافِعًا مُؤْلِمًا لَا يَكُونُ مُحْسِنًا، فَلَا تَقُولَ إِذَا ضَرَبْتَ رَجُلًا تَأْدِيَّا: أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ. وَلَا إِذَا جَازَتِهِ فِي مَلَدَّاتٍ مُضِرَّةً: أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ، وَكَذَا إِذَا فَعَلَ فِعْلًا مُضِرًّا مُلَائِمًا لَا يُسَمَّى مُحْسِنًا.^٢

قال الراغب: وَالْإِحْسَانُ يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علِمَ عِلْمًا حسنًا، أو عمل عملاً حسنًا، وعلى هذا قول أمير المؤمنين: (الناسُ أبناءُ ما يُحْسِنُون) أي: منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملون من الأفعال الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.^٣

وَالْإِحْسَانُ أَعْمَ من الإنعام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لَا نَفْسٍ كُمْ﴾.^٤

١ - المحكم والمحيط الأعظم (١٩٧ / ٣)

٢ - التحرير والتنوير (٢١٦ / ٢)

٣ - سورة السجدة: الآية/ ٧

٤ - سورة الإسراء: الآية/ ٧

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.^١

فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ أقل مما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له.

و والإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب، وتحري والإحسان ندب وتطوع، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.^٢

وقوله عز وجل: ﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾.^٣

ولذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٤

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٥

وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَيِّلٍ﴾.^٦

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾.^٧

وقال ابن سيده: قوله تعالى: ﴿وَجَادُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ﴾ قال الزجاج: المعنى، أئن لهم جانبك، وجادهم غير فظ ولا غليظ القلب.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، قيل: أراد العفو والقصاص، والأحسن: العفو. وهي الحسنة.

١ - سورة النحل: الآية / ٩٠

٢ - سورة النساء: الآية / ١٢٥

٣ - سورة البقرة الآية / ١٧٨

٤ - سورة العنكبوت الآية / ٦٩

٥ - سورة البقرة: الآية / ١٩٥

٦ - سورة التوبه: الآية / ٩١

٧ - سورة النحل: الآية / ٣٠، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٣٦)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾. قيل: أراد الجنة.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ أَخْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيادةً﴾. عَنِ الْجَنَّةِ، وَعِنْدِي إِلَّا الْجَازَاُ الْحُسْنَى،
وَالزِّيَادَةُ النَّظَرَةُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ. وَقَيْلٌ: الرِّيَادَةُ لِتَضَعِيفِ الْحَسَنَاتِ.^١

الإِحْسَانُ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعِبَادِ

فَالَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾.^٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٣

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَلَّعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٤

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٥

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِسُولُنَّ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

١ - المحكم والمحيط الأعظم (١٩٧ / ٣)

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٩٥

٣ - سورة آل عمران: الآية / ١٣٤

٤ - سورة المائدة: الآية / ١٣

٥ - سورة المائدة: الآية / ٩٣

وَإِسْرَافُنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَتْ أَقْدَامُنَا وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

منزلة الإحسان:

الإحسان صفةٌ كُلِّ شيءٍ:

من منزلة الإحسان أن الإحسان صفةٌ كُلِّ شيءٍ، وأرفع رتبةً يمكن أن يبلغها العبد، وأعلى منزلة يمكن أن يحصلها إنسان؛ لذلك كان أعظم الناس إحساناً هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ وذلك لما يبذلونه للعباد من الخير، وما يتحملونه من الضر والمشاق في سبيل هدايتهم، حتى يصل الأمر إلى القتل أحياًًاً وهم مصررون على هداية الخلق، والأخذ بجزهم أن يردوا موارد الهالك، وهل أدل على ذلك مما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأذى المعنوي والحسبي في رحلته إلى الطائف من السب والشتم والإهانة والتحقير، والقذف بالحجارة حتى أدموا عراقيبه، ثم هو يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»؛ عبد الله «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمٌ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَخُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».^٢

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٤٨

٢ - رواه البخاري - باب ، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم: ٣٤٧٧

- الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلت فاحسنت القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ولبيح أحدكم شفترته، ولبيح ذبيحته». ^١

- الإحسان أعلى مراتب الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله ومלאكته ورسله ولقائه وثؤمن بالبعث الآخر». قال يا رسول الله ما الإسلام قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتفوت الركة المفروضة، وتصوم رمضان». قال يا رسول الله، ما الإحسان قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال يا رسول الله متى الساعة قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت المرأة رببتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاء الغراء رءوس الناس فذاك من أشراطها في حمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضَ﴾». ثم انصرف الرجل فقال: «رددوا لي ردوا فلم يروا شيئاً. فقال: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم». ^٢

١ - رواه مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يأكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، حديث رقم: ٣٧٠٩

٢ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، حديث رقم: ٥٠، ومسلم - كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، حديث رقم: ٣٥

الإِحْسَانُ فِي الْعِبَادَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَاحٌ فَلَا يَرْفَعُ
وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَهُ فَلِيُقْلِلُ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُوفُ فِيمِ الصَّائِمِ
أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَرْكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا
أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».١

– الإِحْسَانُ صَفْوَةُ الْأَخْلَاقِ وَأَرْفَعُهَا رَتْبَةً:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اْدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.٢
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اْدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤُهُ كَانَهُ وَلِي
حَمِيمٌ﴾.٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُّهُمْ وَيَقْطَعُونِي،
وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيِّعُونَ إِلَيَّ، وَأَلْحُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَعَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَانَمَا
تُسْفِهُمُ الْمَلَكُ وَلَا يَنْأِي مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ.٤

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَدَرَتُهُ فَأَخْذَتُ
بِيَدِهِ وَبَدَرَتِي فَأَخْذَ بِيَدِي فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا أَخِرِيكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. تَصِلُّ

١ - رواه البخاري- كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٠٤، ومسلم- كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ٢٠١١

٢ - سورة المؤمنون: الآية/ ٩٦

٣ - سورة فصلت: الآية/ ٣٤

٤ - رواه مسلم- كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٤٧٤٦

مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمْدَدَ فِي عُمْرِهِ وَيُبَسِّطَ فِي رِزْقِهِ فَلَيَصِلَّ ذَا رِحْمَهِ».^١

وإنما كان هذا إحساناً لأن صاحبه لا يفعله على وجه المكافأة، ولا يفعله ابتداءً وإنما يقابل القطيعة بالوصل، ويقابل الحرمان بالعطاء، ويقابل الظلم بالعفو، ويقابل الجهل عليه بالحلم، ويقابل الإساءة بالإحسان، فلا أحسن منه حالاً، ولا أكرم منه نفساً، ومن تأمل في تلك الخصال يجد أنها وقعت للأنبياء والمرسلين عامة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووقد وقعت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، ولولا أن الاستطراد بذلك يخرج بنا عن نطاق البحث لذكرت عشرات الأمثلة على ذلك من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الإِحْسَانُ إِلَى الْبَنَاتِ سِتُّرٌ مِنَ النَّارِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: جَاءَتِنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَاتَنِي، فَسَأَلْتُنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً عَيْرَ تَمْرَةً وَاحِدَةً ، فَأَعْطَيْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَاتِنِي، وَمَمْ تَأْكُلُ مِنْهَا شَيْئاً، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَاتَهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَتْهُ حَدِيشَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ ابْتُلَى مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُلَّ لَهُ سِتُّرًا مِنَ النَّارِ.^٢

١ - رواه الحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٥٤، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، حديث رقم: ١٣٦٣، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، حديث رقم: ٤٨٧٠

- الإِحْسَانُ لِلْبَهَائِمِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاءَ يُرِيدُ أَنْ يَذْكُرَهَا وَهُوَ يَحْدُثُ شَفَرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمْيِّتَهَا مَوْتَاتٍ هَلَّا حَدَّدْتَ شَفَرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا». ^١

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةٍ شَاءَ، وَهُوَ يَحْدُثُ شَفَرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: «أَفَلا قَبْلَ هَذَا، أَتَرِيدُ أَنْ تُمْيِّتَهَا مَوْتَاتَيْنِ». ^٢

فتأمل رحمك الله كيف يراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاعر تلك البهيمة العجماء، فينهى الذي يريد ذبحها أن يحد شفرته وهي تنظر إليه، أو يذبحها وبجية أخرى تنظر إليه!

أدركت معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنباء: ١٠٧]؛ فإن لفظ العالمين عام يشمل كل شيء حتى البهائم العجماء.

- الإِحْسَانُ دَلِيلُ كَمَالِ الْإِيمَانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ حُلْقًا، وَخَيْرُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ». ^٣

١ - رواه الحاكم - كتاب الأضاحي، حديث رقم: ٧٦٢٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بسنده صحيح

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١١٧٠٦، والأوسط - حديث رقم: ٣٦٧٤، بسنده صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث: ٧٢٣٨، وأبو داود - كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: ٤٠٨٣، والترمذي - أبواب الرضاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم: ١١١٨، وابن حبان - كتاب الحج، باب المهدى، ذكر البيان بأن من خيار الناس من كان خيراً لأمرأته، حديث رقم:

٤٢٣٧، بسنده صحيح

- الإِحْسَانُ لَا يُضِيغُ أَجْرَهُ أَبَدًا:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقِيمُ الصَّلَاةِ طَرَقُ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ الظَّلَلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُنْهِيْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِاكِرِينَ (١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حِيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغِبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَآنٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مُحْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغْيِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنْأُلُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٤.

- الإِحْسَانُ صَفَةُ الصَّفَوَةِ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَسْدَدُهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٥.

١ - سورة هود: الآية / ١١٤ ، ١١٥

٢ - سورة يوسف: الآية / ٥٦

٣ - سورة يوسف: الآية / ٩٠

٤ - سورة التوبه: الآية / ١٢٠

٥ - سورة يوسف: الآية / ٢٢

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَبَيَّنَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْزًا ثُمَّ كُلُّ الطَّيْرِ مِنْهُ نَسْنَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .^١

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَيْبِرًا فَحُذْدَ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .^٢

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَا هَدَيْنَا وَثُوْحَا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .^٣

- الإِحْسَانُ لِيُسْ لَهُ جَزَاءُ دُونِ الْجَنَّةِ :

فَالَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزَلَ إِلَي الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَّمْعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ إِيمَانًا قَالُوا جَنَّاتٍ بَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهْمَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .^٤

فمن وحد الله تعالى، وأطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله تعالى بما شرع، وأحل الحلال وحرم الحرام، وخلق الناس بخلق حسن فقد بلغ الغاية تحقيق الاستقامة، وهذا هو الإحسان، ومن كان كذلك فليس له عند الله تعالى جزاء دون الجنة.

١ - سورة يوسف: الآية / ٣٦

٢ - سورة يوسف: الآية / ٧٨

٣ - سورة الأنعام: الآية / ٨٤

٤ - سورة المائدة: الآية / ٨٥

قال ابن حرير: وإحسان المحسن في ذلك أن يوحد الله توحيداً خالصاً مختصاً لا شرك فيه، ويقر بأنباء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب، ويؤدي فرائضه، ويتجنب معاصيه، فذلك كمال إحسان المحسنين.^١

- الإِحْسَانُ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ فِي مَعِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى:

فَالَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

وضع الظاهر موضع المضمير إظهاراً لشرف المحسنين، وأخبر تعالى أنه معهم بنصره ومعونته وتأييده في الدنيا، وبالثواب والمغفرة في الآخرة.

- الْمُحْسِنُ أَقْرَبُ النَّاسِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

فَالَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِذْ أَدْعُوكُمْ تَضَرُّعًا وَحْقِيقَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

قال سعيد بن جبير: الرحمة هنا الثواب. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، ولم يقل قربة؛ لأنَّه ضمَّن الرحمة معنى الثواب؛ أي: إنَّ ثوابَ اللهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ في الدُّنْيَا والذِّي هو سببُ حصول الرحمة قَرِيبٌ مِّنْهُمْ.

قال الخطيب الشربيني: وكون الرحمة قريباً من المحسنين؛ لأنَّ الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار من الدنيا وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلك كان الموت أقربَ إليه من الحياة، وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت وهو قريب من الإنسان.^٤

١ - تفسير الطبراني جامع البيان - ط هجر (٦٠٦ / ٨)

٢ - سورة العنكبوت: الآية/ ٦٩

٣ - سورة الأعراف: الآية/ ٥٦

٤ - السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤٨٢ / ١)

- الإِحْسَانُ سببُ الزيادةِ منَ اللهِ تعالى:

ولما كان الإِحسانُ من دلائل شكر نعم الله تعالى كان سبب الزيادة من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَا زَرِيدَنَّكُم﴾ [إِبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفُرْ لَكُمْ حَطَّا يَا أَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفُرْ لَكُمْ حَطِّيَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

- الله عز وجل يتتجاوز عن أهل الإِحسانِ لِإِحسانِهم:

ومن أثر الإِحسان على صاحبه أن الله عز وجل يتتجاوز عن أهل الإِحسان ما لا يتتجاوز لغيرهم لِإِحسانِهم؛ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَيِّلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يُدَافِئُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَرْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجاوَرَ عَنَّا». قَالَ فَلَقِيَ اللَّهُ فَتَجَاوَرَ عَنْهُ».^٤

١ - سورة البقرة: الآية/٥٨

٢ - سورة الأعراف: الآية/١٦١

٣ - سورة التوبه: الآية/٩١

٤ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣١١، ومسلم - كتاب المسافة، باب فضل إنظار المعاشر، حديث رقم: ٣٠٠٦

- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ:

ومن أعظم آثار الإحسان: إحسان الله تعالى للعبد والجزاء من جنس العمل، فالمحسن أولى الناس بإحسان الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^١.

- من ثمار الإحسان ارتفاع الرتبة في العلم وتلقي الحكمة:

ومن ثمرة الإحسان ارتفاع الرتبة والمنزلة عند الله تعالى، وحسن الظن وعلو المكانة عند الخلق في العلم؛ قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَىٰنِي أَعْصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَىٰنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ تَبَثَّنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

فلولا ما رأياه من يوسف عليه السلام من الإحسان لما بادرها بسؤاله، وما أخبره كل واحد منها بما رآه، وبما يعتمل في نفسه.

ومن ثمرة الإحسان تلقي الحكمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

من أعظم أسباب الحسرة يوم القيام ترك الإحسان:

ومن أعظم أسباب الحسرة يوم القيام الإعراض عن الإحسان، والعدول عنه مع القدرة عليه؛ قال الله تعالى: ﴿فُلُونَ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَفْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَيِّعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَيْ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ شَمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾

١ - سورة الرحمن: الآية /٦٠

٢ - سورة يوسف: الآية /٣٦

٣ - سورة يوسف: الآية /٢٢

بَعْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
لَمَنِ السَّاَخِرِينَ ١.

فَإِنْ مِنَ الْإِحْسَانِ إِمْتِثالُ أَمْرِ اللَّهِ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْتِنَابُ نَحْيِيهِ، وَتَحْلِيلُ مَا أَحْلَهُ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَمَهُ،
وَالْوَقْوفُ عِنْدِ حَدَوْدِهِ.

فَالَّذِي قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥] يَقُولُ:
«مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فِي الْكِتَابِ» ٢.

١ - سورة الزمر: الآية / ٥٣ : ٥٦

٢ - تفسير الطبراني جامع البيان - ط: هجر (٢٠ / ٢٣٢)

الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربِّه عزَّ وجلَّ يقول: «حقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَازِلِينَ فِيَ وَالْمُتَحَابُونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». ^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَحَدًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ ثُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَحَدًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تُرْهِكُهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرِ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». ^٢

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا تَحَابَ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَدُهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ». ^٣

في هذه الأحاديث فضل الحبة في الله تعالى وأنها سبب في حب الله تعالى العبد.

١ - رواه البزار - حديث رقم: ٢٦٩٧، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٥٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى - حديث رقم: ٢١٠٦٨، ورواه في الآداب - حديث رقم: ١٧٤، والضياء في المختارة - حديث رقم: ٣٦٩

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٢٥٦٧

٣ - رواه البخاري في الأدب المفرد - حديث رقم: ٥٤٤، والحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٢٣، وأبو يعلى - حديث رقم: ٣٤١٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٢٨٩٩، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢١٦٦، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في المصالحة والمعانقة، وغيرها من وجه الإكرام عند اللقاء، حديث رقم: ٨٦٣١، وصححه الألباني

فضل الحب في الله تعالى:

الحب في الله أوثق عرى الإيمان:

من أسباب محبة الله تعالى للعبد الحب في الله تعالى، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كننا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أتدرؤون أي عرى الإيمان أوثق؟» قلنا: الصلاة قال: «الصلاحة حسنة وليس بذاك» قلنا: الصيام مثل ذلك حتى ذكرنا الجهاد، فقال مثل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبعض في الله».^١

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا ابن مسعود، أي عرى الإيمان أوثق؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «أوثق عرى الإسلام الولاية في الله، والحب فيه، والبعض».^٢

١ - رواه أبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٧٨٣، وتعظيم قدر الصلاة - حديث رقم: ٣٩٣، والروياني - حديث رقم: ٣٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤)، بسنده حسن

٢ - رواه الحاكم - حديث رقم: ٣٧٩٠، الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٣٥٧، والأوسط - حديث رقم: ٤٤٧٩، والصغرى - حديث رقم: ٦٢٤، وابن أبي شيبة في مسنده - حديث رقم: ٣٢١، ومكارم الأخلاق للخراطي - حديث رقم: ٩٠٦٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم:

الْمُتَحَابُونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه عز وجل يقول: «حققت محبتي للمحابين في وحققت محبتي للمتابذلين في وحققت محبتي للمتزارين في والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله». ١

الحب في الله سبب استشعار حلاوة الإيمان:

عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كُنْ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكُرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُرِهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». ٢

قال القاضي عياض: وذلك أنه لا تتضح محبة الله ورسوله حقيقةً، والحب للغير في الله وكراهة الرجوع إلى الكفر، إلا من قوى بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالف دمه ولحمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته.

ومعنى حب العبد لله: استقامته في طاعته، والتزامه أوامره ونواهيه في كل شيء؛ وهذا قال بعضهم: المحبة مواطأة القلب على ما يرضي رب، فيحب ما أحب، ويكره ما كره. ٣

١ - رواه البزار - حديث رقم: ٢٦٩٧، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٥٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى - حديث رقم: ٢١٠٦٨، ورواه في الآداب - حديث رقم: ١٧٤، والضياء في المختارة - حديث رقم: ٣٦٩

٢ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم: ٤٣

٣ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٢٧٨)

الأخوة الإيمانية من لوازم الحب في الله تعالى:

ومن لوازم الحب في الله تعالى استشعار ما بينك وبين المؤمنين من الأخوة الإيمانية التي هي أرفع درجة من إخوة النسب، وأقرب من كل سبب دنيوي، وما لتلك الأخوة من حقوق وواجبات، وما يتربى عليها من تبعات، وما ملئ حقها من الفضائل والدرجات.

فضل مصاحبة الأخيار واتخاذ الإخوان الصالحين:

الأخوة الإيمانية تحقق محبة الله تعالى:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، «أن رجلا زار أحلاه في قريه أخرى، فأصرد الله له، على مدرجه، ملماً أتى عليه، قال: أين تردد؟ قال: أريد أحلاي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترده؟ قال: لا، غير أبي أحبته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه». ^١

في هذا الحديث فضل الحب في الله تعالى وفضل زيارة الصالحين والأصحاب.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تحاب رجلا في الله عز وجل إلا كان أفضلاً لهما أشدُّهما حباً لصاحبِه». ^٢

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٢٥٦٧

٢ - رواه البخاري في الأدب المفرد - حديث رقم: ٥٤٤، والحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٢٣، وأبو يعلى - حديث رقم: ٣٤١٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٢٨٩٩، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢١٦٦، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في المصالحة والمعانقة، وغيرها من وجه الإكرام عند اللقاء، حديث رقم: ٨٦٣١، وصححه الألباني

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَحَابَ رَجُلٌ إِلَّا وَضَعَ اللَّهُ لَهُمَا كُرُسِيًّا فَأُجْلِسْتَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُرَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْجِسَابِ».^١

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَعَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَإِذَا اتَّقْتَ شَامٌ كَمَا شَامُ الْخَيْلِ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا دَخَلَ مَسْجِدًا فِيهِ مِائَةً مُنَافِقٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَدَهَبَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ الْوَاحِدِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُنَافِقًا دَخَلَ مَسْجِدًا فِيهِ مِائَةً مُؤْمِنٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَدَهَبَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَى ذَلِكَ الْمُنَافِقِ الْوَاحِدِ».^٣

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْحَطَّابِيَّ رَحْمَةُ اللَّهِ: هَذَا يَتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهِينَ:

أَحدهما: أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَعْنَى التَّشَاكِلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالصَّالِحِ وَالْفَسَادِ. فَإِنَّ الْخَيْرَ مِنَ النَّاسِ يَحْنُنُ إِلَى شَكْلِهِ وَالشَّرِّ يَمِيلُ إِلَى نَظِيرِهِ وَمُثْلِهِ، فَالْأَرْوَاحُ إِنَّمَا تَعَارَفُ لِغَرَائِبِ طَبَاعِهَا الَّتِي جُبِلتُ عَلَيْهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَإِذَا اتَّفَقَتِ الْأَشْكَالُ تَعَارَفَتْ وَتَالَّفَتْ، وَإِذَا اخْتَلَفَتْ تَنَافَرَتْ وَتَنَاكَرَتْ، وَلَذِلِكَ صَارَ إِلَّا نَاسٌ يُعْرَفُ بِقَرِينِهِ وَيُعْتَبَرُ حَالَةً بِأَلِيفِهِ وَصَاحِبِهِ.

١ - رواه الطبراني في المعجم الكبير - حديث رقم: ٥٢

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، حديث رقم: ٣٣٣٦، ومسلم - باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم: ٢٦٣٨

٣ - رواه أبو الشيخ في الأمثال - حديث رقم: ١٠٨، وابن بطة في الإبانة الكبرى موقوفاً - حديث رقم: ٤٢٨، وأبو نعيم في صفة المنافق ونعت المنافقين - حديث رقم: ٦٦

والوجه الآخر: أنه إخبار عن بدء الخلق في حال الغيب، على ما روي في الأخبار أن الله خلق الأرواح قبل الأجسام، فكانت تلتقي فتشام، فصار كل منها إنما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد المعتقد، والله أعلم.^١

الأخوة الإيمانية تمنع من الوقوع في المعاصي:

عن سعيد بن يزيد الأزدي رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: أوصيك أن تستحي من الله عز وجل، كما تستحي من الرجل الصالح من قومك.^٢
وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْلَمْ يُصِبْ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ حَيَاءُهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي لَكَفَاهُ».٣

فتأمل رحمك الله كيف تحول الأخوة الإيمانية بين العبد والواقع في المعاصي لما يعلم من نظر صاحبه المؤمن التقى إليه، بخلاف قرناء السوء الذين يدفع بعضهم بعضاً إلى الآثام، ويؤز بعضهم بعضاً إلى الشر والفساد، حتى يغير بعضهم بعضاً بالعفاف والطهر وبعد عن الرذيلة.

١ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١٥٣٠ / ٣)

٢ - رواه الطبراني في المعجم الكبير - حديث رقم: ٥٥٣٩

٣ - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - حديث رقم: ٣٥٤٥١، والبيهقي في الشعب - مقاربة أهل الدين ومودتهم، وإفشاء السلام بينهم، حديث رقم: ٨٦٥٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٠ / ٣)

الأُخْوَةُ الْإِيمَانِيَّةُ تَعِينُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلك الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسئل، وكثير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسئل إما تشربه، أو تجده ريحه، وكثير الحداد يحرق بذاته أو ثوبك أو تجده منه ريحًا حبيثة».^١

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمحالسته في الدين والدنيا والتغريب في مجالسة من ينتفع بمحالسته فيهما.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب عند الله حيرهم لصاحبه وحير الجيران عند الله حيرهم لجاره».^٢

الأُخْوَةُ الْإِيمَانِيَّةُ تُوجِبُ لِأَصْحَابِهِ الْاسْتِظَالَ بِظَلِّ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ لَا ظُلْمَ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِحَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمٍ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلٌّ».^٣

قال ابن العربي: قال علماؤنا: يحتمل أن يريد به أن الناس يضجون يوم القيمة، وتدنو الشمس منهم، فيشتدد عليهم الحر، ولا ظل ذلك اليوم إلا ظله، فمن أظلله الله ذلك اليوم فقد رحمة وفاز.^٤

١ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب في العطار وبائع المسئل، حديث رقم: ٢١٠١، ومسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب استئخار بمحالسة الصالحين، ومحانة قرءان السوء، حديث رقم: ٢٦٢٨

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٦٦، والترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق الحوار، حديث رقم: ١٩٤٤، والبخاري في الأدب المفرد - حديث رقم: ١١٥، بسنده صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب في فضل الحبيب في الله، حديث رقم: ٢٥٦٦

٤ - المسالك في شرح موطن مالك (٤٩٦ / ٧)

قال النووي رحمه الله: قوله تعالى: «الْمُتَحَاوِبُونَ بِحَلَالِي» أي: بعظمتي وطاعتي لا للدنيا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةُ يُظْلَمُونَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ لِإِلَهٍ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ دَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ حَالِيَا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». ^١

الأُخْوَةُ الإِيمَانِيَّةُ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَمْتَنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا عَلَيْنَا:

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَافِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَدَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. ^٢

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لَأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». ^٣

قال النووي عليه رحمة الله: قال العلماء رحمهم الله معناه لا يؤمن بالإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل من لم يكن بهذه الصفة والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات، ويدل عليه ما جاء في روایة النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير.

١ - رواه البخاري - كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم: ٦٦٠

ومسلم - كتاب الرغوة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١

٢ - سورة آل عمران: الآية / ١٠٣

٣ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ حديث رقم: ١٣، ومسلم - كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ مِنْ خصائِلِ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، حديث رقم: ٤٥

الأخوة الإيمانية عدّة في الدنيا والآخرة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنْهُ: عليكم بالإخوان فإنهم عدّة في الدنيا والآخرة ألم تسمع إلى أهل النار وهم يقولون: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^١.

العناية باختيار الأصحاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلَيُنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^٢.

قال المباركفوري رحمه الله: (على دين خليله) أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته (فلينظر) أي: فليتأمل ولি�تدبر (من يخالفه) من المخالة وهي المصادقة والإخاء فمن رضي دينه وخلقه خالله ومن لا تنبهه فإن الطياع سرقة، والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده. قال الغزالي: مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، و المجالسة الزاهد ومخالنته تزهد في الدنيا لأن الطياع مجوبة على التشبه والاقتداء بالطبع من حيث لا يدرى.

وعن أبي سعيد رضي الله عنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^٣.

١ - سورة الشُّعْرَاء: الآية/ ١١٠، ١١١

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٠٢٨، وأبو داود - كتاب الأدب، بابُ مَنْ يُؤْمِنُ أَنْ يُجَالِسَ، حديث رقم: ٤٨٣٣، والترمذني - أبوابُ الرُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٣٧٨، والحاكم - كتابُ الْبَرِّ وَالصَّلَاةِ، حديث رقم: ٧٣١٩، بسنده حسن

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١٣٣٧، وأبو داود - كتاب الأدب، بابُ مَنْ يُؤْمِنُ أَنْ يُجَالِسَ، حديث رقم: ٤٨٣٢، والترمذني - أبوابُ الرُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ مَا جَاءَ فِي صُحبَةِ الْمُؤْمِنِ، حديث رقم: ٢٣٩٥، وابن حبان - كتابُ الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ الصُّحْبَةِ وَالْمُجَالَسَةِ، ذُكْرُ الْأَمْرِ لِلْمُرْءِ أَنْ لَا يَصْحِبَ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَلَا يُنْفَقْ إِلَّا عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ٥٥٤، بسنده حسن

قال المباركفوري رحمه الله: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقى واجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعم توقع الألفة والودة في القلوب.

الصاحب ساحب:

قال طرفة بن العبد:

فَكُلُّ فَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يُقْتَدِي
عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ *****

وَلَا تَصْحِبُ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ *****

وقيل:

وَعُدُوِي الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةُ
وَالنَّارِ تَوَضَعُ فِي الرَّمَادِ فَتَخْمَدُ *****

وهل كان أضر على أبي طالب عند الوفاة من قرناء السوء؟

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاءَ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّ عَمٍّ
فُلُّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَاجُ لَكَ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ
أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا سَتَغْفِرُنَّ لَكُمْ مَا لَمْ أُنْهِ عَنْكُمْ»،
فَنَرَأَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمْ أَهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾. [التوبة: ١١٣]

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾. [التوبة: ١١٣]، حديث رقم: ٤٦٧٥

وقال علقة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحاب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحاب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتدأك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحاب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك، اصحاب من لا يأتيك منه البوائق، ولا يختلف عَيْنُك مِنْهُ الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.

قال الإمام الشافعي:

أَحَبُ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعْنِي أَنَّا نَالَ بَهْمَ شَفَاعَة

وَأَبْغَضُ مِنْ تَحْارِبَهُمْ مَعَاصِي
وَإِنَّ كَنَا سَوِيًّا فِي الْبَضَاعَةِ

قيل لابن السمак أي الإخوان أحق ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينه، الوفي عقله، الذي لا يملأ على القرب ولا ينساك على بعد، إن دنوت منه دanax و إن بعدت عنه رعاك، وإن استعنت به عَضْدَك وإن احتجت إليه رَفَدَك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.^١

وعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجِدُونَ النَّاسَ كَيْابِلٍ مِائَةً لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاجِلَةً».^٢

١ - التذكرة الحمدونية (٤ / ٣٧٧)، رفدا: أي: أعطاك، والرفد: العطاء.

٢ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب قوله صلى الله عليه وسلم: النَّاسُ كَيْابِلٍ مِائَةً لَا يَجِدُ فِيهَا رَاجِلَةً، حديث رقم: ٢٥٤٧

قال الحافظ ابن حجر: المعنى لا تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وظيفاً سهلاً الانقياد، وكذا لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه ويلين جانبه.^١

فَالْأَمْرُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَعْتَرِضْ فِيمَا لَا يَعْنِيَكَ، وَاعْتَرِضْ عَدُوَّكَ، وَاحْتَفِظْ مِنْ حَلِيلِكَ إِلَّا الْأَمِيرَ فَإِنَّ الْأَمِيرَ لَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ، لَا تَصْبَحِ الْفَاجِرُ فَيُعَلِّمَكَ مِنْ فُجُورِهِ، وَلَا تُقْسِنِ إِلَيْهِ سِرَّكَ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ». ^٢

١ - فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٣٥)

٢ - رواه ابن أبي شيبة-كتاب الأدب، ما يؤمِّرُ به الرَّجُلُ في مجلسه، حديث رقم: ٢٥٥٢٨

حقوق الأخوة ولوازمها:

رد غيبته والمنافحة عن عرضه:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيمة».^١

قال المباركفوري: قوله: «من رد عن عرض أخيه» أي منع غيبة عن أخيه. «رد الله عن وجهه النار يوم القيمة» أي: صرف الله عن وجه الراد نار جهنم. قال: المناوي أي عن ذاته العذاب وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً قال: «تأخذ فوق يديه».^٢

الدعاء له في حياته وبعد موته:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد مسلمٍ يدعوا لأخيه بظاهر العين إلا قال الملائكة ولتك يمثل».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥٣٦، والترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، حديث رقم: ١٩٣١، والبيهقى في السنن الكبرى - كتاب قتال أهل البغى، جماغ أبواب الرعاعة، باب ما في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر، حديث رقم: ١٦٦٨٤، وفي شعب الإيمان - التعاون على البر والتقوى، حديث رقم: ٧٢٢٨، والحرائطي في مكارم الأخلاق - باب ما يُستحب للمرء من الرد عن عرض أخيه المسلم، حديث رقم: ٨٨٥، وصححه الألبانى

٢ - رواه البخارى - كتاب المظالم والعصب، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم: ٢٤٤٤

٣ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاة والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظاهر العين، حديث رقم:

وعنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضيَ اللهُ عنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ اسْتَعْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً».^١

وهذا من تمام فضل الله تعالى على المؤمنين، ومن عظيم رحمته بهم؛ لأنَّ فيه ترغيباً للدعاء لهم جميعاً وفيهم الطائع والعاصي، والمحسن والمسيء؛ قال الأمير الصناعي: فيه الدعاء للعصاة فإنه عام لكل مؤمن ومؤمنة ومنهم من هو عاصٍ.^٢

النصيحة في الله تبارك وتعالى:

عَنْ ثَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» فُلِّنَا لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».^٣

وعنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصُحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».^٤

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الْأَصْحَاحِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجَيْرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».^٥

١ - رواه الطبراني في مسنده الشامي - حديث رقم: ٢١٥٥، وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع رقم: ٦٠٢٦

٢ - التنوير شرح الجامع الصغير (٩٠ / ١٠)

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٥

٤ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" ، حديث رقم: ٥٧ ، مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٦

٥ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٦٦ ، والترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في حق الجوار، حديث رقم: ١٩٤٤ ، وابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب الجار، ذكر البيان ببيان خير الجيران عند الله من

كان خيراً لجاره في الدنيا، حديث رقم: ٥١٨ ، والحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٢٩٥ ، بسنده صحيح

من أقوال السلف في الأخوة:

قالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْلَا ثَلَاثٌ: لَوْلَا أَنْ أَسْافِرَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَوْ أُغْفَرَ جَبْهَتِي فِي التُّرَابِ سَاجِدًا أَوْ أَجَالِسَ قَوْمًا يَلْتَقِطُونَ طَيْبَ الْقَوْلِ كَمَا يَلْتَقِطُونَ طَيْبَ التَّمْرِ لَسَرَّئِي أَنْ أَكُونَ لَحِقْتُ بِاللَّهِ».^١

عنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يُلَوَّمُ مِنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ، وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ، وَضَعَ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مِنْهُ مَا يَعْلَمُكَ، وَمَا كَافَأْتَ مِنْ عَصَى اللَّهَ فِيهِ، مِثْلَ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، وَعَلَيْكَ بِصَالِحِ الْإِحْوَانِ، أَكْثُرُ أَكْتِسَاهُمْ فِي أَهْمَمِ زَيْنِ فِي الرَّحَاءِ، وَعِدَّهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَكُونَ، فَإِنَّ فِي مَا كَانَ شُغْلًا عَنْ مَا لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَكُنْ كَلَامُكَ بَذْلَةً إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَشْتَهِيهِ وَيَتَّخِذُهُ غَنِيمَةً، وَلَا تَسْتَعِنْ عَلَى حَاجَتِكَ إِلَّا مِنْ يُحِبُّ بَنَاحَهَا، وَلَا تَسْتَشِرْ إِلَّا الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ، وَلَا تَضْحِبِ الْفَاجِرَ فَتَعْلَمَ مِنْ فُجُورِهِ، وَتَخَشَّعْ عِنْدَ الْفَبُورِ».^٢

وقالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيشَ يَوْمًا وَاحِدًا: الظَّمَآنُ لِهِ بِاهْوَاجِرِ، وَالسُّجُودُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُونَ مِنْ خِيَارِ الْكَلَامِ كَمَا يَنْتَقِي أَطَابِ الشَّمَرِ».^٣

وعَنْ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ شُعبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ بِهِ حَاجَةً، إِنَّ بِهِ عِلْمٌ، يَفْرُخُ لِفَرَحِهِ، وَيَخْزُنُ لِخَزِينَهِ، وَهُوَ مِرَآةُ أَخِيهِ، إِنْ رَأَى مِنْهُ مَا لَا يُعْجِبُهُ سَدَّهُ وَقَوَّمَهُ، وَوَجَّهَهُ، وَحَاطَهُ فِي السِّرِّ

١ - مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٦٢)

٢ - الزهد لأبي داود (ص: ٩٨)

٣ - ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٣١ / ٢)

وَالْعَلَانِيَةِ، إِنَّ لَكَ مِنْ حَلِيلِكَ نَصِيبًا، وَإِنَّ لَكَ نَصِيبًا مِنْ ذِكْرِ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَتَنَفَّعُوا بِالْإِخْوَانِ
وَالْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسِ».^١

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «تَنَفَّعُوا بِالْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسِ، وَأَحْبُبُوا هُونَا، وَأَبْغَضُوا هُونَا، فَقَدْ
أَفْرَطَ أَقْوَامٍ فِي حُبِّ أَقْوَامٍ فَهَلَكُوا، وَأَفْرَطَ أَقْوَامٍ فِي بَعْضِ أَقْوَامٍ فَهَلَكُوا، فَلَا تُفْرِطْ فِي حُبِّكَ، وَلَا
تُفْرِطْ فِي بَعْضِكَ، وَإِنْ رَأَيْتَ دُونَ أَخِيكَ سِرْثًا فَلَا تَكْسِفْهُ».^٢

عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "إِذْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ قَالَ:
فَمَا بَقَى إِمَّا يُسْتَلَدُ؟ قَالَ: الْإِفْضَالُ عَلَى بِالْإِخْوَانِ".

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: "إِنَّمَا يَرِيدُنِي رَغْبَةً فِي الْحَجَّ لُقْيَ الْإِخْوَانِ، لَا أَلْقَاهُمْ فِي غَيْرِهِ".^٤

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: «أَعْلَمُ أَيِّنِي أَرَى أَنَّ الْمَوْتَ الْيَوْمَ كَرَامَةً لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ عَلَى
السُّنْنَةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو وَحْشَتَنَا، وَذَهَابَ الْإِخْوَانِ، وَقِلَّةُ الْأَعْوَانِ،
وَظُهُورُ الْبَدْعِ، وَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهِنِّدِهِ الْأُمَّةُ مِنْ ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ السُّنْنَةِ، وَظُهُورِ
الْبَدْعِ».^٥

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ: قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْإِخْوَانُ مِنْ أَنْفَسِ الدَّخَائِرِ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ
يَتَأَمَّلَ لِاِكْتِسَابِهِمْ وَيَصِيدَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ كَمَا تُصَادُ الطَّيْرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.^٦

١ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٢٣٢ / ١)

٢ - اعتلال القلوب للخرائي (١ / ١٨٠)، المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص: ١٥٩)

٣ - مسنند ابن الجعدي (ص: ٢٥٣)

٤ - أخبار مكة للفاكهي (٢ / ٣٦٣)

٥ - البدع لابن وضاح (٢ / ٨٤)

٦ - مكارم الأخلاق للخرائي (ص: ٢٥٠)، المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص: ١٧٠)

وَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَيِّي عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَ: لِلسَّفَرِ مُرُوعَةٌ، وَلِلْحَضَرِ مُرُوعَةٌ، فَأَمَّا مُرُوعَةُ السَّفَرِ؛ فَبَذْلُ الزَّادِ، وَقِلَّةُ الْخِلَافِ عَلَى أَصْحَابِكَ، وَكَثْرَةُ الْمِزَاحِ فِي غَيْرِ مَسَاخِطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا مُرُوعَةُ الْحَضَرِ؛ فَإِدْمَانُ الْإِخْتِلَافِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَكَثْرَةُ الْإِحْوَانِ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَتِلَاءُهُ الْقُرْآنِ.^١

وقال عَلَيُّ بْنُ دَاؤَدَ الرَّقِيقُ:^٢

كُلُّ مَنْ كَانَ لَا يُؤَاخِيكَ فِي اللَّهِ فَلَا تَرْجُ أَنْ يَدُومَ إِخْرَاؤُهُ **** فَلَا تَرْجُ أَنْ يَدُومَ إِخْرَاؤُهُ

إِنَّ خَيْرَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ لَهُ دَوْمٌ وُدُّهِ وَصَفَاؤُهُ **** إِنَّ خَيْرَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ

١ - المحالسة وجواهير العلم (١٩٤ / ٢)

٢ - المتنقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص: ٢٠١)

الصَّابِرُ

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد الصبر؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَيْنُونَ مِنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُوهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.^١

الصَّابِرُ فِي الْلُّغَةِ: الْحَبْسُ وَالْكَفْرُ. وَمِنْهُ: قُتِلَ فُلَانٌ صَابِرًا. إِذَا أُمْسِكَ وَحُبِسَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، فَالصَّابِرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزِعِ وَالتَّسْخُطِ. وَحَبْسُ الْلِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى. وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ.

وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: صَابِرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَصَابِرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَصَابِرٌ عَلَى امْتِحَانِ اللَّهِ.

فضل الصبر ومنزلته عند الله تعالى:

الصبر من صفات الله تعالى:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّمَا لَيْدُعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».^٢

الصبر من صفات الله تعالى التي وصفه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثبتتها الله تعالى على الوجه الذي يليق به تعالى، بلا تكيف ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

وقال الحافظ ابن القيم: وفي أسمائه الحسنى الصبور وهو من أمثلة المبالغة أبلغ من الصابر والصبار وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوده متعددة منها: أنه عن قدرة تامة، ومنها: أنه لا يخاف الغوث والعبد إنما يستعجل الخوف الغوث، ومنها: أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما، وظهور أثر الاسم في العالم مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم.

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٤٦

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الصَّابِرُ عَلَى الْأَذَى، حديث رقم: ٦٠٩٩

والفرق بين الصبر والحلم أن الصبر ثمرة الحلم وموجهه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر، وهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع، ولسعنته يقرنه سبحانه باسم العليم؛ كقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيًّا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيهِ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].^١

الله تعالى يحب الصابرين:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِئُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.^٢

الصبر أوسع عطاء:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سأלו رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نقد ما عنده فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أذخره عنكم، ومن يستغفف يعفه الله، ومن يستغرن يعنده الله، ومن يتصرف يصيّره الله، وما أعطي أحد عطايا خيراً وأوسع من الصبر». ^٣

الصبر قرین النصر:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهمما قال كنت رديفاً النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلاماً أو يا عليماً لا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن». فقلت بلى. فقال: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألاك فاسأله وإذا

١ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٧٦)

٢ - سورة آل عمران: الآية / ١٤٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الإستغفار عن المسنلة، حديث رقم: ١٤٦٩، ومسلم - كتاب الزكاة، باب فضل التغفار والصبر، حديث رقم: ١٠٥٣

استَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلْمُ بِمَا هُوَ كَائِنُ فَلَوْ أَنَّ الْخُلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْتُهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْتُهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبَرِ عَلَى مَا تَكْرُهُ حَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّابِرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».^١

الصبر من عزم الأمور:

قال الله تعالى: ﴿لَتَبَلُّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقْفُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿يَا يُبَيِّنِ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.^٣

أي: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزماً منه.

الصبر صفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

قال الله تعالى عن أيوب صلى الله عليه وسلم: ﴿وَحْدَ يَيْدِكَ ضِعْنَا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٦٣ ، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرثاقين والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٥١٦ ، والحاكم في المستدرك - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٣٠٤ ، والطبراني

في الكبير حديث رقم: ١٢٩٨٨ ، بسنده صحيح

٢ - سورة آل عمران: الآية / ١٨٦

٣ - سورة لقمان: الآية / ١٧

٤ - سورة ص: الآية / ٤٤

وقال تعالى عن إسماعيل وءادريس وذى الكفل عليهم السلام: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَءَدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَذْخَلْنَا إِلَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .^١

قال تعالى عن إسماعيل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنْيَّ إِلَيَّ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَحْدُدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ .^٢

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم فقسمًا، فقال رجل إن هذه لقسمة ما أريد بها وحده الله. فآتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأحربه، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: «يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر». ^٣

فيه دليل على صبر الأنبياء عليهم السلام، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أقوامهم، وكثرة ما أوذى به موسى عليه السلام من بني إسرائيل.

الصبر نصف الدين:

عن صحيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأئم المؤمنين إن أمراً كله حير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان حيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان حيراً له». ^٤

١ - سورة الأنبياء: الآية / ٨٥ ، ٨٦

٢ - سورة الصافات: الآية / ١٠٢

٣ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حدث رقم: ٣٤٠٥، ومسلم - كتاب الركوة، باب إعطاء المؤلمة فلوهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، حدث رقم: ١٠٦٢

٤ - رواه مسلم - كتاب الزهد والرفاق، باب المؤمن أمراً كله حير، حدث رقم: ٢٩٩٩

لا تخلو حياة العباد من السراء والضراء، فإذا كان حال السراء والنعما شاكراً، وحال الضراء وبالباء صابراً، فهذا الذي يرجى له الخير، وهكذا يجب أن يكون المؤمن، والمؤمن شأنه عجيب لأن مثاب على كل أحواله، فإن أصابته سراء شكر الله تعالى، وإن أصابته ضراء صبر ابتغاء رضواه الله فكان صبره خيراً له.

الصابر في معية الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَطْهُنُونَ أَهْمَمُ مُلَاقُوهُ اللَّهُ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .^١

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفْشَلُوا وَتَذَهَّبُ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .^٢

أجر الصابر لا يعلمه إلا الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَقُ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .^٣

وعن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: إذا جمع الله الأولين والآخرين؛ نادى المنادي: أين أهل الفضل؟ ليدخلوا الجنة قبل الحساب. فيقولون عنق من الناس فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين يا بني آدم؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: قبل الحساب؟ فيقولون: نعم. فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا نغفو إذا ظلمينا، ونغفر إذا أسيء إلينا، ونحلم إذا جهل علينا. قالوا: أنتم كما قلتم، فنعم أجر العاملين. ثم ينادي مناد: أين الصابرون؟ ليدخلوا الجنة قبل الحساب. فيقولون عنق من

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٤٩

٢ - سورة الأنفال: الآية / ٤٦

٣ - سورة الزمر: الآية / ١٠

النَّاسُ، فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيْنَ يَا بْنَ آدَمْ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: قَبْلَ الْجِنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُونَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الصَّابِرُونَ. فَيَقُولُونَ: وَمَا كَانَ صَبَرْكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؛ حَتَّى تَوَفَّانَا اللَّهُ.^١

أنواع الصبر:

للصبر أنواع ثلاثة: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي وصبر على المصائب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصبر على أداء الطاعات: أكمل من الصبر على اجتناب الحرمات وأفضل فإن مصلحة فعل الطاعة: أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة: أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.^٢

الصبر على الطاعات:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٣

الصبر عن المعاصي:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».

قال الطيبى: قوله: «مَنْ يَضْمَنْ لِي» عن بعضهم معناه: من يضمن لي لسانه وبودره، وحفظه عن التكلم بما لا يعنيه ويضره، مما يوجب الكفر والفسق، وفرجه بأن يصونه

١ - المحالسة وجوهات العلم (٢٠٣ / ٣)

٢ - المستدرک على مجموع الفتاوى (١٤٥ / ١)

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٥٣

٤ - رواه البخاري - كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم: ٦٤٧٤

من الحرام، أضمن له دخول الجنة. و «**لحَيْيِه**» - بفتح اللام - تثنية لحي، وهو العظمان اللذان ينبع عليهما الأسنان علوًّا وسفلاً.

أقول: أصل الكلام من يحفظ ما بين لحييه من اللسان مما لا يعنيه من الكلام والطعام دخل الجنة. فأراد أن يؤكد الوعد تأكيداً بلغاً فأبرزه في صورة التمثيل؛ ليشعر بأنه واجب الأداء، فشبه صورة حفظ المؤمن نفسه بما وجب عليه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحه، وشبه ما يترب عليه من الفوز بالجنة، وأنه واجب على الله بحسب الوعد أداءه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الواسطة والشفيع بينه وبين الله تعالى بصورة شخص له حق واجب الأداء على آخر، فيقوم به ضامن يتکفل له بأداء حقه. وأدخل المشبه في صورة المشبه به وجعله فرداً من أفراده، ثم ترك المشبه به وجعل القرينة الدالة على ما يستعمل فيه من الضمان نحو قوله المفتى الذي يتعدد في فتواه: أراك أيها الفتى تقدم رجلاً وتؤخر أخرى.^١

الصبر على المصائب:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَفْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾.^٢

قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان، ونعم العلاؤة.^٣

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه ألا أريك امرأة من أهل الجنّة قلت بلى. قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني أصرع، وإنى

١ - شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (٣١١١ / ١٠)

٢ - سورة البقرة: الآيات / ١٥٧ - ١٥٥

٣ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى.

أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَرِّتْ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكِ». فَقَالَتْ أَصْبِرُ. فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَاهَا.

قال البدر العيني: خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن تصر على هذه الهيئة ولها الجنّة، وبين أن يدعوا الله تعالى فيعافيها، فاختارت الصبر، ثم قالت: أحسّى من كشف العورة، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانقطع عنها التكشّف.

ثم قال: وفيه فضيلة ما يتربّب على الصبر على الصراع، وأن اختيار البلاء والصبر عليه يورث الجنّة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه أنه يُطيق التمادي على الشدة، ولا يضعف عن التزامها.^٢

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبرٍ فقال: «اتقى الله وأصبر». قالت إلينك عني، فإنك لم تصب بمحبيتي، ولم تعرفه. فقيل لها إن النبي صلى الله عليه وسلم فأتت بباب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بواين فقالت لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».^٣

قال القاضي عياض: قوله: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»: يعني الصبر الذي يشقّ ويعظم تحمله ومجاهدة النفس عليه، ويقل صابره ويؤجر عليه الأجر الجزيل عند وقوع المصيبة وهجومها،

١ - رواه البخاري - كتاب المرضي، باب فضل من يصرع من الريح، حديث رقم: ٥٦٥٢، ومسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكية يشاكها، حديث رقم: ٢٥٧٦

٢ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١٥ / ٢١)

٣ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، حديث رقم: ١٢٨٣

وأما بعد الصدمة الأولى وبرد المصيبة وابتداء التسلى فكل أحد يصبر حينئذ، ويقل جزعه، ولذلك قيل: يجب للعاقل أن يتلزم حين مصابه ما لا بد للأحمق منه بعد ثلات.^١

وقال تعالى: ﴿كُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً إِذْنُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا دُلُوبَنَا وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.^٣

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.^٤

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَقْعِشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٥

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلِمُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَعْلِمُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَكْثَرِهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ حَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَعْلِمُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلِمُوا أَلْفَيْنِ إِذْنُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^٦

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفرد ما عنده فقال: «ما يكون عندي من خير فلن

١ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٦٨ / ٣)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٤٩

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٦ ، ١٧

٤ - سورة آل عمران: الآية/ ١٤٢

٥ - سورة الأنفال: الآية/ ٤٦

٦ - سورة الأنفال: الآية/ ٦٥ ، ٦٦

أَدَّ خِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفُ يُعَقَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِيهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرُ يُصَبِّرُهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطَى
أَحَدٌ عَطَاءً حَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبَرِ».^١

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ
شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَا فِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».^٢

وقال القاسم بن عبد الرحمن: من أعطي قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وجسدًا صابرا، فقد أوتى
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ووقي عذاب النار.

هل يجوز أن يسأل العبد ربه تعالى الصبر؟

عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو يَقُولُ اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ. فَقَالَ «أَئِ شَيْءٌ تَمَامُ النِّعْمَةِ» قَالَ دَعْوَةً دَعَوْتُ إِلَيْهَا أَرْجُو إِلَيْهَا الْخَيْرِ. قَالَ:
«فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالْفَوْزَ مِنَ النَّارِ» وَسَمِعَ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
فَقَالَ: «فَقَدِ اسْتُجْبِبَ لَكَ فَسَلْ». وَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ الصَّبَرَ. فَقَالَ: «سَأَلْتَ اللَّهَ الْبَلَاءَ فَسَلْلَهُ الْعَافِيَةَ».^٣

الصَّبَرُ ضِيَاءُ:

عَنْ أَبِي مَالِكِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّهُورُ
شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَالًا الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَالًاِ - أَوْ تَمَالًاِ - مَا بَيْنَ

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الرِّكَاهِ، بَابُ الإِسْتِعْفَافِ عَنِ الْمِسْأَلَةِ، حديث رقم: ١٤٦٩، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاهِ، بَابُ فَضْلِ التَّعْفُفِ وَالصَّبَرِ، حديث رقم: ١٠٥٣

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَدَبِ، حديث بَابُ الصَّبَرِ عَلَى الْأَذَى، رقم: ٦٠٩٩، ومسلم- كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، بَابُ لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ٢٨٠٤

٣ - رواه الترمذى- أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٣٥٢٧، والطبرانى في الكبير- حديث رقم: ٩٧، وقال الترمذى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبَرُ ضِيَاءُ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ
كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَایعَ نَفْسَهُ فَمُعْتَقِّهَا أَوْ مُوبِّقَهَا». ^١

قال الأمير الصناعي: الصبر حبس النفس عن فعل ما يصبح وعلى فعل ما يحسن فمن التزمه فهو ضياء له في تروكه وأفعاله والضياء أقوى من النور بحكم الوضع ولذا نسب الضياء إلى الشمس، والنور إلى القمر؛ **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾** [يونس: ٥]، ولما كان الصبر لا بد منه في فعل كل طاعة وترك كل معصية سمي بأقوى الاسمين لا أنه أقوى من كل طاعة في الإثارة والهدایة إلى الطاعات فعلاً وإلى المعاصي تركاً.^٢

وقيل: لأن مستعمله يرى طريق الرشد، وتارك الصبر في ظلمات الجزع.^٣

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله من معاك على هذا الأمر قال: «حر وعبد». قلت ما الإسلام قال: «طيب الكلام وإطعام الطعام». قلت ما الإيمان قال: «الصبر والسماحة».^٤

فسر الحسن البصري الصبر والسماحة، فقال هو الصبر عن محارم الله، والسماحة بأداء فرائض الله عز وجل.^٥

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فلهالجزع».^٦

١ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣

٢ - التنوير شرح الجامع الصغير (٣٠٩ / ٢)

٣ - كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤ / ١٥٥)

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٩٤٣٥ ، وابن أبي شيبة في مسنده - حديث رقم: ٧٥٧، بسنده فيه ضعف

٥ - جامع العلوم والحكم ت: الأرنقوط (١ / ١٢١)

٦ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٦٣٣ ، والبيهقي في الشعب - حديث رقم: ٩٣٢٧ ، بسنده جيد

قالوا عن الصبر:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكتبو.

وقال عمر رضي الله عنه: وجدنا حير عيشنا بالصبر.^١

وقيل:^٢

الصبر	معبة	فلتحمدن	*****	الدَّهْرِ	حوادث	لِمُرِّ	اصْبِرْ
واجهد	لنفسك	قبل	*****	ميتها	الذُّخْرِ		
فَكَانَ	أَهْلَكَ	قَدْ	*****	ذَعْوَكَ	فَلَمْ	أَهْلَكَ	
وَكَانُوكُمْ	أَهْلَكَ	وَأَنْتَ	*****	مُخْشِرُجَ	الصَّدَرِ		
وَكَانُوكُمْ	ظَاهِرِ	قَدْ	*****	السَّرِيرِ	وَأَنْتَ	قَدْ	وَكَانُوكُمْ
العطر	الهُلْكَى	يَتَرَوَّدُ	*****	عَلَى	رَوَدُوكَ	عِمَا	

١ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب الصبر عن مخاليم الله، تعليقا

٢ - التبصرة لابن الجوزي (٢٩ / ١)

المدوامة على الفرائض والإكثار من النوافل

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد المدوامة على الفرائض والإكثار من النوافل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال: من عادى لي ولليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبد الله بشيء أحب إلى الله مما افترضت عليه، وما يزال عبد الله يتقارب إلى بالنّوافل حتى أحببته، فإذا أحببته: كُنْتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سأله لأعطيته، ولعن استعادتي لأعيذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن نفس المؤمن، يذكره الموت وأنا أكره مساءاته».^١

النافلة هي: كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل حيرو.

وسميت النوافل في العبادات لأنها زائدة على الفرائض.

لماذا جعل الله محبته لمن يتقرب إليه بالنّوافل؟

سألت امرأة الليث بن سعيد رحمه الله رطلا من العسل تداوي به ولدها، فأمر الليث كاتبه أن يعطيها مرطاً من العسل. والمطر مائة وعشرون رطلا.

فقال له كاتبه: سألك رطلا من العسل وأنت تعطيها مرطاً!

فقال الليث: سألتنا على قدرها فأعطيتها على قدرنا.

الفرق بين النافلة والفرضية:

عن زبيد اليامي قال: لما حضرت أبا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاة بعث إلى عمر رضي الله عنه ليستخلفه، فكان مما قال له: «إني موصيتك بوصيتك إن حفظتها إن الله عز وجل حفظها

١ - رواه البخاري - كتاب الفتاوى، باب التواضع، حديث رقم: ٦٥٠٢

٢ - لسان العرب (١١ / ٦٧١)

عَلَيْكَ فِي الْلَّيْلِ لَا يَقْبُلُهُ فِي النَّهَارِ، وَحَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبُلُهُ فِي الْلَّيْلِ، وَإِنَّهُ لَا يَقْبُلُ نَافِلَةً حَتَّى
تُؤَدِّيِ الْفَرِيضَةُ، وَإِنَّمَا ثَقَلْتُ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلْتُ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا، وَثَقَلْتُ
عَلَيْهِمْ وَحْقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونُ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا حَفِظْتُ مَوَازِينُ مَنْ حَفِظْتُ مَوَازِينُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ، وَخَفَقْتُهُ عَلَيْهِمْ وَحْقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ
حَفِيقًا» ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ وَصِيَّتِهِ: «فَإِنْ حَفِظْتَ قَوْلِي هَذَا مَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ،
وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ قَوْلِي مَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ وَلَنْ
تُعِزِّزَهُ». ^١

من صور النوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى:

الصوم:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءِ،
أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». ^٢

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «مَنْ
قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ إِنَّمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ
إِنَّمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ إِنَّمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». ^٣

١ - رواه ابن أبي شيبة مصنفه- كتاب الرُّهْدِ، حديث رقم: ٣٤٤٣٣، وابن المبارك في الزهد- باب ذِكْر رحمة الله تبارك
وتعالي وجعل وعلاء، حديث رقم: ٩١٤

٢ - رواه مسلم- كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين
والخميس، حديث رقم: ١١٦٢

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٣٢٤، والبيهقي في الأسماء والصفات- حديث رقم: ٦٥١، بسنده صحيح

الصلاحة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».^١

الصدقة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تُمْرِئُهُ كَسْبٌ طَيِّبٌ، وَلَا يَقْبِلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ».^٢

قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تُمْرِئُهُ كَسْبٌ طَيِّبٌ»؛ أي: ما يعادلها في قيمتها، وعدل الشيء مثله في القيمة، وقوله: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تُمْرِئُهُ كَسْبٌ طَيِّبٌ»؛ أي: حلال لا شبهة فيه، بخلاف الربا والرشا والسحت والغصب، وقوله: «يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ»؛ فيه إثبات لصفة اليد لله تعالى نسبتها لله تعالى بلا تكييف ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، ووصفها للبركة لأن الشمال عند الخلق محل النقص والضعف، وكلتا يديه يمين كما أخبر بذلك عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله: «كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوْهُ»؛ الفلو: المهر سمي بذلك لأنه فلي عن أمه أي فصل وعزل، وذكر المهر لعنابة صاحبه به أكثر من غير من الدواب.

١ - رواه مسلم - كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، حديث رقم: ١١٦٣

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب لقوله: ﴿وَيُرَبِّي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٤١٠]، حديث رقم: ٢٧٧

الأسباب المعينة على التقرب لله بالنواول:

الاستعانة بالله:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَيْدِي يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ أَكِي لِأَحْبَبِكَ» فَقُلْتُ لَهُ: بِأَيِّ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أَحْبُبُكَ، فَقَالَ: «وَأُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعُنَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحْسِنْ عِبَادَتِكَ».

معرفة فضائل العبادات:

لكل عبادة من العبادات أثر عظيم جداً على المسلم، فمن ذلك، الفوز بمحبة الله تعالى، ومنها أن ينال العبد رضي الله تعالى، ومنها زيادة الإيمان، ورفع الدرجات، ومنها تكفير الذنوب والسيئات، ومنها العيشة الهنية، ومنها حسن الخاتمة، في فضائل لا تحصى كثرةً، أذكر شيئاً يسيراً من الأدلة على تلك الفضائل حتى لا نخرج عن مضمون الكتاب، وإلا فلو أطلنا النَّقَسَ في سرد تلك الأدلة لاحتاج ذلك إلى مجلدات، ولعل الله تعالى أن ييسر جمع ذلك في مؤلف مستقل إن شاء الله تعالى؛ ومن تلك الأدلة على فضائل تلك العبادات التي لها أكبر الأثر في معونة العباد على التقرب لله تعالى، وما ورد في فضل ذكر الله تعالى؛ ما ثبت عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه،

١ - رواه أبو داود- كتاب الصَّلَاة، بابُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ، حديث رقم: ١٥٢٢، والنمسائي في الكبرى- كتابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، الْحَثُّ عَلَى قَوْلٍ: «رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحْسِنْ عِبَادَتِكَ» دُبْرُ الصَّلَوَاتِ، حديث رقم: ٩٨٥٧، وابن خزيمة- كتابُ الصَّلَاةِ «الْمُخْتَصِّرُ مِنَ الْمُخْتَصِّرِ مِنَ الْمُسْنِدِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطْنَا فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ»، بابُ الْأَمْرِ بِإِمْسَائِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي دُبْرِ الصَّلَوَاتِ الْمُعَوَّنةِ عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحْسِنِ عِبَادَتِهِ، وَالْوُصِيَّةِ بِذَلِيلِهِ، حديث رقم: ٧٥١، وابن حبان- كتابُ الصَّلَاةِ، بابُ صِفَةِ الصَّلَاةِ، فَضْلُّ فِي الْقُنُوتِ، ذِكْرُ الْإِسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ بَحْلًا وَعَلَّا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحْسِنِ عِبَادَتِهِ عُقْيَبُ الصَّلَوَاتِ الْمُفْرُوضَاتِ، حديث رقم: ٢٠٢٠، والحاكم- كتابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ مَنَاقِبِ أَحَدِ الْفُقَهَاءِ الْسَّيِّدَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٥١٩٤، بسنده صحيح

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنْتُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرُكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الدَّهْبِ وَالْوَرْقِ، وَخَيْرُكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى». ^١

وَعَنْ مُصْعِبِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيْعَجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةً؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلُسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةً؟ قَالَ: يُسَيِّخُ مِائَةَ تَسْبِيحةً، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحْكَطُ عَنْهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ». ^٢

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، مَا ثَبَّتَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَاحِيهِ: أَيْعَجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَئْنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». ^٣

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْوَضُوءِ؛ مَا ثَبَّتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ، فَعَسَلَ وَجْهَهُ حَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ حَطِيشَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ كُلُّ حَطِيشَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥٢٥، والترمذمي - أبواب الدعوات عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب منه، حديث رقم: ٣٣٧٧، بسنده صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الذكر، والدعاء، والتوبيخ، والإستغفار، باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٨

٣ - رواه البخاري - كتاب فضائل القرآن، فضل قوله ﴿فَلَمْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: ٥٠١٥، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وفصرها، باب فضل قراءة قوله ﴿فَلَمْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: ٨١١

الْمَاءُ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلِيهِ حَرَجَتْ كُلُّ حَطِيَّةٍ مَسْتَهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ».^١

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْإِكْتَارِ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ؛ مَا ثَبَتَ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: «لَقِيتُ شَوْبَانَ - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَحْبَرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ - أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - فَسَكَّتْ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ التَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثِيرِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ إِلَيْهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ إِلَيْهَا حَطِيَّةً. قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرَدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي شَوْبَانُ».^٢

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ صِيَامِ النَّافِلَةِ؛ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعْدَ اللَّهِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ حَرِيقًا».^٣

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْحَجَّ، مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَنَهُ أُمُّهُ».^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب حُرُوج الحطایا مع ماء الوضوء، حديث رقم: ٢٤٤

٢ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحمد عائداً، حديث رقم: ٤٨٨

٣ - رواه البخاري - كتاب الجihad والسيير، باب فضل الصوم في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٤٠، ومسلم - كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر، ولا تغويت حقيقة، حديث رقم: ١١٥٣

٤ - رواه البخاري - كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم: ١٥٢١، ومسلم - كتاب الحج، باب: في فضل الحج، وال عمرة، ويوم عرفة، حديث رقم: ١٣٥١

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْمُتَابَعَةِ بَيْنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ، مَا ثَبَّتَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ الْمُتَابَعَةَ بَيْنَهُمَا، تَفْيِي الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يُفْيِي الْكِبِيرُ، حَبَّتِ الْحَدِيدِ».

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ، مَا ثَبَّتَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمَرَّدَ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَنْقَبِلُهَا بِيمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيَهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيَّيِ أَحَدُكُمْ فَلُوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

استشعار العجز والتقدير:

عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ»، قَالَ: «يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَئْمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَفَضَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطْوِعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطْوِعٌ، قَالَ: أَئْتُوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطْوِعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاقُمْ».

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٦٩٨ ، وابن ماجه - كتاب المناسيل، باب فضل الحج والعمرة، حديث رقم: ٢٨٨٧

بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِغَوْلِهِ: ﴿وَيُرِيَ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كُفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، حديث رقم: ١٤١٠ ، ومسلم - كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم: ١٠١٤

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٤٩٤ ، وأبو داود - كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُبْلِغُ صَاحِبُهَا تُسْمِ مِنْ تَطْوِعِهِ»، حديث رقم: ٨٦٤ ، والنسائي - كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم: ٤٦٦ ، والحاكم - كتاب الطهارة، حديث رقم: ٩٦٥ ، وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، والسئلة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، حديث رقم: ١٤٢٥ ، وأبو يعلى - حديث رقم: ٦٢٢٥ ، بسند صحيح

أثر النوافل على العبد في الآخرة:

لعل نجاتك في فعل نافلة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةً، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ أَخْدَأَ مِنْ حَطَايَاهُمْ فَطُرِحْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرَحَ فِي النَّارِ». ^١

ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ»، بيان وجوب الاستكثار من فعل الطاعات فإن القصاص ربما يذهب الحسنات حتى لا تبقى منه حسنة، ولعل نجاة العبد قد تتوقف يوم القيمة على حسنة يشتمل بها الميزان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقُ لِلليلَةِ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةَ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصْدِقُ اللَّيلَةَ عَلَى زَانِيَةَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةَ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيِّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصْدِقُ عَلَى غَنِيِّ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيِّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصْدِقُ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةَ، وَعَلَى غَنِيِّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأَتَيْتَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقْتُكَ فَقَدْ قُلْتَ، أَمَّا الزَّانِيَةُ

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١

فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُ إِلَيْهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُ إِلَيْهَا
عَنْ سَرْقَتِهِ» .^١

١ - رواه مسلم - كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، حديث رقم: ١٠٢٢

التَّطَهُّرُ

وَمِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى التَّطَهُّر؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.^١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَقْمِ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقْوَمَ فِيهِ
فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾.^٢

عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى
الْحِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ! «لَقَدْ هَانَآ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِعَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِي بِالْيَمِينِ،
أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِي بِأَقْلَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِي بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ».^٣

فَضْلُ التَّطَهُّرِ:

الْطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ:

عَنْ أَبِي مَالِكِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْطُّهُورُ
شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلاً الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلاًنَ أَوْ تَمَلاً مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبَرُ ضِيَاءُ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ
يَغْدُو فَبَاعِثُ نَفْسَهُ فَمَعْنِفُهَا أَوْ مُؤْبِقُهَا».^٤

قَالَ النَّوْوَيِّ: وَاحْتَلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»، فَقِيلَ:
مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَجْرَ فِيهِ يَنْتَهِي تَضْعِيفُهُ إِلَى نِصْفِ أَجْرِ الْإِيمَانِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَجْبُ مَا قَبْلَهُ

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٢

٢ - سورة التوبة: الآية / ١٠٨

٣ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم: ٢٦٢

٤ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣

مِنَ الْخَطَايَا وَكَذَلِكَ الْوُضُوءُ؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الإِيمَانِ، فَصَارَ لِتَوْقِيقِهِ عَلَى الإِيمَانِ فِي مَعْنَى الشَّطَرِ، وَقَيْلٌ: الْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ هُنَّا الصَّلَاةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَالظَّهَارَةُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ فَصَارَتْ كَالشَّطَرِ، وَلَيْسَ يَلْزَمُ فِي الشَّطَرِ أَنْ يَكُونَ نِصْفًا حَقِيقِيًّا، وَهَذَا الْقُولُ أَقْرَبُ الْأَقْوَالِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّ الإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقُلْبِ وَانْقِيَادٌ بِالظَّاهِرِ، وَهُمَا شَطَرَانِ لِلْإِيمَانِ وَالظَّهَارَةُ مُتَضَمِّنَةُ الصَّلَاةِ فِيهِ انْقِيَادٌ فِي الظَّاهِرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^١

الظَّهُورُ سَبُبُ مغفرة الذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ حَطِيَّةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِيهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرٍ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ كُلُّ حَطِيَّةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرٍ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ حَطِيَّةٍ مَتَشَتَّهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرٍ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَفِيًّا مِنَ الدُّنُوبِ».^٢

قال النووي: والمراد بالخطايا الصّعائِرُ دون الكبائر.^٣

وقال الشوكاني: وظاهر الأحاديث العموم.^٤

وعن عبد الله الصناعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استشر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه

١ - شرح النووي على مسلم (١٠٠ / ٣)

٢ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، حديث رقم: ٢٤٤

٣ - شرح النووي على مسلم (١٣٣ / ٣)

٤ - نيل الأوطار (١٨٧ / ١)

خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ كَانَ مَشْيِهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَّاهُ نَافِلَةً لَهُ".^١

وَعَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا بِوَضُوءِ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوَضُوءِ، ثُمَّ تَضَمَّضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ تَحْوَى وُضُوئِي هَذَا، وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحْدِثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».^٢

الطُّهُورُ من سمات أهل الإسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَقٌّ، أَنْ يَعْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا».^٣

١ - رواه مالك- كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ جَامِعِ الْوَضُوءِ، حديث رقم: ٣٠، والنسائي- كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ مَسْحِ الْأَذْنَيْنِ مَعَ الرَّأْسِ وَمَا يُسْتَدَلُ بِهِ عَلَى أَهْمَمَا مِنَ الرَّأْسِ، حديث رقم: ١٠٣

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الْوَضُوءِ، بَابُ الْمَضْمُضَةِ فِي الْوَضُوءِ، حديث رقم: ١٦٤، ومسلم- كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ صِفَةِ الْوَضُوءِ وَكَمَالِهِ، حديث رقم: ٢٢٦

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابٌ: هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهُدِ الْجُمُعَةَ غُسْلٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبِيَّانِ وَغَيْرِهِمْ وَقَالَ أَبُنْ عُمَرَ إِنَّمَا الْغُسْلَ عَلَى مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ، حديث رقم: ٨٩٦

الظُّهُورُ عَلَامَةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ نُعْيَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ رَأَى أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَوَضَّأُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدِيهِ حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ الْمَنْكِبَيْنِ ثُمَّ عَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى رَفَعَ إِلَى السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ سَعَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ عُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ». ^١

الظُّهُورُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْمُلَائِكَةِ: «عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدَّثْنِي بِأَرْجَحِي عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَعَيْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: (مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَحِي عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَنْطَهَرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الظُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ). ^٢

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِلِيلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعِشِّي فَأَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضْوَءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُفْلِلٌ عَلَيْهِمَا بِقُلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَاتَلْتُ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبَلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمْرُ قَاتَلَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ حِثْتَ آنِفًا، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ

١ - رواه البخاري - كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغير المحججون من آثار الوضوء، حديث رقم: ١٣٦ ، ومسلم -

كتاب الطهارة، باب استحبات إطالة العرفة والتحجيج في الوضوء، حديث رقم: ٢٤٦

٢ - رواه البخاري - أبواب التهجد، باب فضل الظهور بالليل والنهر وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهر، حديث

رقم: ١١٤٩

ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتْحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الشَّمَائِيَّةِ
يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».^١

التحذير من الاعتداء في الطهور:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَقْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقُصْرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ
يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، سَلِّ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ».^٢

وَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ
بِالصَّاعِ، إِلَى حَمْسَةِ أَمْدَادٍ».^٣

وَعَنْ أُمِّ عُمَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فَأَتَى بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَدْرُ
ثُلُثِي الْمُدِّ».^٤

وَعَنْ سَفِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَسِّلُ الصَّاغُ مِنَ
الْمَاءِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَيُؤَضِّئُ الْمُدِّ».^٥

١ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، حديث رقم: ٢٣٤

٢ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب الإسراف في الماء، حديث رقم: ٩٦، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، حديث رقم: ٢٠١، ومسلم - كتاب الحيض، باب الفدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة وغسل أحد هما بفضل الآخر، حديث رقم: ٣٢٥

٤ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب ما يجزئ من الماء في الوضوء، حديث رقم: ٩٤، بسنده صحيح

٥ - رواه مسلم - كتاب الحيض، باب الفدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة وغسل أحد هما بفضل الآخر، حديث رقم: ٣٢٦

التَّوْبَةُ

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد التوبة لله تعالى؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ حَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْحَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ». ^١

قال ابن القيم: حقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإفلاع عنه في الحال، والعلم على ألا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم، ويقلع، ويعزم.^٢

فضل التوبة ومنزلة التائبين عند الله تعالى:

عَنْ عِمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جَهَنَّمَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الرِّزْنَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصِبَّتُ حَدَّاً، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيَهَا، فَقَالَ: «أَحَسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتُ فَأُتْنِي إِلَيْهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ إِلَيْهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُكِّثَ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ إِلَيْهَا فَرِحْمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمُرُ: ثُصَّلَى عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ رَأَتْ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعْتُهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟».^٣

وعن بُرِيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مَاعِزٌ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهْرِيْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ عَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهْرِيْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ

١ - رواه الترمذى - أَبْنَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَاقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حدیث رقم: ٢٤٩٩
وابن ماجه - کِتَابُ الرُّثْنِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حدیث رقم: ٤٢٥١

٢ - مدارج السالكين (١٩٩ / ١)

٣ - رواه مسلم - کِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالرِّتْنِ، حدیث رقم: ١٦٩٦

فَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ وَتُبِّ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهْرِنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَ أُطْهِرْكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الرِّبِّيَّ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِيهِ جُنُونٌ؟» فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشَرَبَ حَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ حَمْرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزَّيْتِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرِجَمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرَقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ حَطَبَيْتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: افْتُلِنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَيُثْوَ بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْ سِعَتْهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَرْزِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهْرِنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكِ ارْجِعي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتُوَبِّي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَأَكُ تُرِيدُ أَنْ تُرِدَّنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الرِّبِّيَّ، فَقَالَ: «آتَيْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ»، فَقَالَ: «إِذَا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدْعُ ولَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا». ^١

١ - رواه مسلم - كتاب الحذود، باب من اعترف على نفسه بالرّبيّ، حديث رقم: ١٦٩٥

وعن ابن عمر رضي الله عنهم قال: إن كننا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول: «رب اغفر لي وتب علی إني أنت التواب الرحيم»، مائة مرة.^١

قال ابن القيم رحمه الله: ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارق العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالنوبة هي بداية العبد ونهايته، و حاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالنوبة تعليق المسبب بسببه، وأنى بأداة (عل) المشعرة بالترجي، إذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائدون، جعلنا الله منهم.^٢

التوبة سبب في تبديل الله عز وجل سيئات العبد حسنات

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾^٣.

قال ابن القيم: وهذا من أعظم البشارة للتائب إذا اقترب بتوبته إيمان وعمل صالح، وهو حقيقة التوبة.^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٤٧٢٦، أبو داود - باب تفريع أبواب الوثر، باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥١٦، وابن

ماجه - كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث رقم: ٣٨١٤، بسنده صحيح

٢ - مدارج السالكين (١/١٩٦)

٣ - سورة الفرقان: الآية / ٧٠

٤ - مدارج السالكين (١/٤٦٧)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَرِئَنَا هَذِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَّتَيْنِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يُفْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ثُمَّ نَزَّلَتْ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَ بِشَيْءٍ قَطْ فَرَحَ بِهَا وَفَرَحَ بِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.^١

التوبهُ سببُ سعادهِ العبدِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرءِ أَنْ يَطْلُوَ عُمْرُهُ وَيَرْزُقُهُ اللَّهُ الْإِنْتَابَةَ». ^٢
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ وَاهِ رَاقِعٌ سَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رُقْعَةٍ». ^٣

التوبهُ سببُ الفلاح في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّلِنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيَضْرِبُنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُبُونِهِنَّ وَلَا يُبَدِّلِنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعْوَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعْوَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعْوَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعَيْنَ عَيْرٌ أُولَئِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى

١ - رواه ابن أبي عاصم في السنة - حديث رقم: ٩٧٢، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٢٩٣٥ ، وابن الأعرابي في معجمه - حديث رقم: ٢٣٩٤ ، وفيه علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف.

٢ - رواه الحاكم - كتاب التوبة والإنتابة، حديث رقم: ٧٦٠٢ ، وقال صحيح الإسناد

٣ - رواه الحاكم - معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث رقم: ٧١٢٣

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمُ مَا يُخْفِينَ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَئِمَّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهَدَ فَلْيَكُفْ نَفْسَهُ عَنِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَلْقَوْا اللَّهَ بِشَيْءٍ خَيْرٍ لَكُمْ مِنْ قِلَّةِ الذُّنُوبِ».^٢

الدائِبُ: بِهِمْزَةٍ بَعْدِ الْأَلْفِ هُوَ الْمُتَعْبُ نَفْسَهُ فِي الْعِبَادَةِ الْمُجْتَهَدُ فِيهَا.

المداومة على التوبة علامة على حسن الخاتمة:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّي أَذْنَبَتْ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبَتْ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ:
أَعْلَمُ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبِّا يغْفِرُ الذَّنْبَ وَيأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ شُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّي أَذْنَبَتْ - أَوْ أَصَبَتْ - آخر، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعْلَمُ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبِّا يغْفِرُ الذَّنْبَ وَيأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثَةً، فَلِيُعْمَلْ مَا شَاءَ».^٣

١ - سورة النور: الآية ٣١

٢ - رواه عبد الله بن المبارك في الزهد- باب ما جاء في تحريف عواقب الذنب، حديث رقم: ٦٧، وأبو يعلى - حديث رقم: ٤٩٥٠، وابن أبي الدنيا في الروع - حديث رقم: ٤، بسنده ضعيف

٣ - رواه البخاري- كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث رقم: ٧٥٠٧، ومسلم- كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنب وإن تكررت الذنب والتوبة، حديث رقم: ٢٧٥٨

التوبه سبب محبة الله تعالى للعبد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ .^١

عن الحارث بن سعيد، قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين: حدثنا عن نفسه، وحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «الله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجلى في أرض دويبة مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكانك الذي كنت فيه، فأنام حتى الموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعند راحلته وعلية زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا برحلته وزاده».^٢

وعن أبي سعيد الحذري، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاوه فقال: إنك قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مائة، ثم سأله عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنها أنساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنهما أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاها الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مغلياً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل حيراً قط، فأتاهم ملوك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال:

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٢

٢ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب في الحضي على التوبة والفرج بنا، حديث رقم: ٢٧٤٤

قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَئِتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضْتُهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْخَسِنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.^١

توبه العبد العاصي:

وروي أنه لحق ببني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه فقالوا يا كلیم الله ادع لنا ربک أن يسقينا الغيث فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون فقال موسى عليه السلام إلهي اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرتع، والمشياخ الركع، فما زادت السماء إلا تقشعًا، والشمس إلا حرارة فقال الله تعالى: فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي، فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم فيه منعتكم. فقال موسى: إلهي وسيدي أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ لهم سبعون ألفاً أو يزيدون، فأوحى الله إليه: منك النداء ومني البلاغ. فقام منادياً وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر. فقام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحداً خرج فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بني إسرائيل، وإن قعدت معهم منعوا لأجلني، فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على فعله، وقال: إلهي وسيدي عصيتك أربعين سنة وأمهلتني وقد أتيتك طائعاً فاقبلي. فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأ茅رت كأفواه القرب فقال موسى: إلهي وسيدي بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد! فقال: يا موسى

١ - رواه البخاري -كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٠، ومسلم -كتاب التوبه، باب قبول توبه القاتل وإن كثُر قتله، حديث رقم: ٢٧٦٦ ، واللفظ له.

سقيتكم بالذى به منعتكم. فقال موسى: إلهي أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى إني لم أفضحه وهو يعصيني، فأفضحه وهو يطيعني! يا موسى إني أبغض النمامين فأكون نماماً.^١

والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه

أركان التوبة:

الندم:

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُوبَ قَالَ سَمِعْتُ حُمَيْدًا الطَّوِيلَ يَقُولُ: قُلْتُ لِأَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ أَفَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟» قَالَ: نَعَمْ.^٢

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مُقْرِنٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، وَقَالَ: مَرَّةً سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ».٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا مُتَذَمِّنُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْمِنُونَ، فَيَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ فَيَعْفُرُ لَهُمْ».٤

١ - التوابين لابن قدامة (ص: ٥٥)

٢ - رواه ابن حبان في صحيحه - كتاب الرفائق، باب التوبة، حديث رقم: ٦١٣

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٥٦٨، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم: ٤٢٥٢، وابن حبان - كتاب الرفائق، باب التوبة، حديث رقم: ٦١٢، والحاكم - كتاب التوبة والإنابة، حديث رقم: ٧٦١٢، وأبو يعلى في مسنده - حديث رقم: ٤٩٦٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٥٨٦٤، والبزار - حديث رقم: ١٩٢٦، بسند صحيح

٤ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب سقوط الذنب بإلاستغفار توبه، حديث رقم: ٢٧٤٩

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعَرِّفْ». ^١

الإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ:

عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ، وَادْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ فَأَحْدَثْ لِلَّهِ فِيهِ تَوْبَةً: السِّرْ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ».^٢

وعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبُهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحُهُ وَمَعَالِمُهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ".^٣

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦١٦٠، والترمذى - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٣٥٣٧، وابن ماجه - كتاب الرهاد، باب ذكر التوبة، حديث رقم: ٤٢٥٣، بسنده حسن

٢ - رواه الطبراني - حديث رقم: ٣٣١، والبيهقي في الشعب - فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، حديث رقم: ٥٤٤، بإسناد حسن

٣ - رواه الأصبغاني في الترغيب والترهيب - باب في الترغيب في التوبة، حديث رقم: ٧٧٨، كتاب التوبة لابن عساكر - حديث رقم: ١٢

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب الرهاد، باب ذكر التوبة، حديث رقم: ٤٢٥٠، والطبراني - حديث رقم: ١٠٢٨١، وحسنه الألباني

العزم على ترك العود:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن ربنا عز وجل قال: «أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي ف قال: تبارك تعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي ف قال: تبارك تعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي ف قال: تبارك تعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، وأي رب اغفر لي ذنبي ف قال: تبارك تعالى: لا أذرني أقال في الثالثة أو وأيأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك. قال عبد الأعلى: لا أذرني أقال في الرابعة اعمل ما شئت». ^١

قوله: فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنبًا استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبًا آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكاذبين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْثَةُ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ سُقِّلَ مِنْهَا قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلَقَ بِهَا قَلْبُهُ، فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾" [المطففين: ١٤]

- ١ - رواه البخاري- كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُنَذِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث رقم: ٧٥٠٧، ومسلم- كتاب التوبه، باب قبول التوبة من الذنب وإن تكررت الذنب والتوبة، حديث رقم: ٢٧٥٨
- ٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٧٩٥٢، وابن ماجه- كتاب الرهد، باب ذكر الذنب، حديث رقم: ٤٢٤٤، والحاكم- كتاب التفسير، حديث رقم: ٣٩٠٨، حديث حسن

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَتْ قُرْيُشُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ. قَالَ: "وَتَفْعَلُونَ؟" قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحْ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَّابًا لَا أُعَدِّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَخْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ. قَالَ: "بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ".

التوبة وظيفة العمر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهُ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ، عَلَى آخِيهِ يَجْوَلُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ». ^٢

الآخية بـ المهمزة وكسر الخاء المعجمة بعدها ياء مثناء من تحت مشددة هي حبل يدفن في الأرض مثنىً، وييرز منه كالعروة تشد إليها الدابة. وقيل: هو عود يعرض في الحائط تشد إليه الدابة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغُ حَطَابَيَاكُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْثُمُ، لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ». ^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٦٦، والحاكم في المستدرك - كتاب الإيمان، حديث رقم: ١٧٤ ، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٢٣٢٢ ، ورواته رواة الصحيح، والترغيب والترهيب (٤٧ / ٤)

٢ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليوم والليلة، حديث رقم: ٦٣٠٧

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١٣٣٥

وعن شداد بن أوسٍ رضي الله عنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، حَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ. إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلُهُ». ^١

وعن أنسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ حَطَّاءٌ وَحَيْرُ الْخَطَّائِينَ إِلَيْيَ تُبَثُّ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوِثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».^٢

موانع قبول التوبة:

التوبة عند الحشرجة ومعاينة ملائكة الموت:

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَسْتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْثُثُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوِثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.^٣

يعملون الذنوب حتى إذا حضر أحدهم الموت وأخذ في النزع قال عند مشاهدة ما هو فيه: إني تبت الآن فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمْوِثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا لهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

٤ - رواه ابن ماجه- كتاب الرهف، باب ذكر التوبة، حديث رقم: ٤٢٤٨ ، بسنده صحيح

١ - رواه البخاري- كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، حديث رقم: ٦٣٠٦

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٣٠٤٩ ، الترمذى- أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٤٩٩ ، وابن ماجه- كتاب الرهف، باب ذكر التوبة، حديث رقم: ٤٢٥١ ، والدارمى- ومن كتاب الرقائق، باب: في التوبة، حديث رقم: ٢٧٦٩ ، والبزار- حديث رقم: ٧٢٣٦ ، والحاكم- كتاب التوبة والإثابة، حديث رقم: ٧٦١٧ ، وقال صحيح الإسناد، وحسنه الألبانى

٣ - سورة النساء: الآية /١٨

التوبه عن طلوع الشمس من مغربها:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبِّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَوْمٍ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا حَيْثُماً﴾^١.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال: «طلوع الشمس من مغربها».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، قال: طلوع الشمس من مغربها.^٢

وعن مجاهد، في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال: «طلوع الشمس من مغربها».

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».^٣

١ - سورة الأنعام: الآية / ١٥٨

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١٢٦٦ ، بسنده صحيح

٣ - رواه سعيد بن منصور في تفسيره - حديث رقم: ٩٣٩

٤ - رواه الطبراني (٢٥ / ١٠)

٥ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنب وإن تكررت الذنب والتوبة، حديث رقم: ٢٧٥٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَعْرِكَاهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». ^١

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ قِبْلِ الْمَعْرِبِ لَبَابًا مَسِيرَةً عَرْضِهِ أَرْبَعُونَ عَامًا أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً، فَتَحَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّوْبَةِ، يَوْمَ حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَا يُعْلِفُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ». ^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَّةُ أَبْوَابٍ سَبْعَةُ مُغْلَقَةٍ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ تَحْوِهِ». ^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاة والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم: ٢٧٠٣

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨١٠٠، والترمذمي - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعيادة، حديث رقم: ٣٥٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٦٦٧٤

٣ - رواه أبو يعلى - حديث رقم: ٥٠١٢، والحاكم - كتاب التوبة والإثابة، حديث رقم: ٧٦٧١، والطبراني - حديث رقم: ١٠٤٧٩، وابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٠٧، بإسناد جيد

الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾^١.

الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ لِقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ حَدِيثٌ فَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقاءَهُ فَلَقِيَتُهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْكَ حَدِيثٌ فَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقاءَكَ قَالَ: لِلَّهِ أَبُوكَ فَقَدْ لَقِيَتِي. قَالَ: قُلْتُ: حَدِثْنِي بِلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَكَ. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً» قَالَ: فَلَا أَخَالُنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: «رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَارِبًا مُحْتَسِبًا مُجَاهِدًا فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَنْتُمْ تَحْدُوْنَهُ عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَهْمَمْ بُنْيَانٍ مَرْصُوصٍ﴾ [الصف: ٤]، قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَهُ جَارٌ سُوءٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى إِيَادَائِهِ حَتَّى يَكْفِيهُ اللَّهُ إِيَاهُ إِمَّا بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ يُسَافِرُ مَعَ قَوْمٍ فَأَذْجَوْهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْكَرَى وَالنُّعَاصُ فَضَرَبُوهُمْ رُءُوسَهُمْ، ثُمَّ قَامَ فَتَطَهَّرَ رَهْبَةً لِلَّهِ وَرَغْبَةً لِمَا عِنْدَهُ، قُلْتُ: فَمَنِ الْثَلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: الْمُحْتَالُ الْفَحُورُ، وَأَنْتُمْ

تَحْمِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [القمان: ۱۸]، قُلْتُ: وَمَنْ؟
قَالَ: الْبَخِيلُ الْمُنَانُ قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: التَّاجِرُ الْحَلَافُ أَوِ الْبَائِعُ الْحَلَافُ». ۱

الناسُ فِي الْجِهَادِ طَرْفَانِ وَوَسْطٌ:

منهم من يرى أنَّ الْجِهَادَ تطرف وإرهاب ورجعية، وقربياً من هذا الصنف من يقول ليس في الإسلام شيء اسمه جهادُ الطلبِ، وإنما شرعُ الْجِهَادِ فقط للدفاع عن النفس.

ومنهم من يستحل دماء المسلمين، أو يستبيح قتل المسلمين الذين يعيشون في بلاد المسلمين.

والوسط هم الذين يقولون بوجوبِ الْجِهَادِ ولكن بشروطه المعتبرة.

الْحِكْمَةُ مِنْ تَشْرِيعِ الْجِهَادِ فِي الإِسْلَامِ:

إِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ:

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمْرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهِهِ
فِي حَاصِّتِهِ يَتَفَقَّوْيُ اللَّهُ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اعْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمْثِلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيَدًا». ۲

۱ - رواهُ أَحْمَدُ - حديث رقم: ۲۱۳۵۶، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ۴۷۰، والحاكم - كتابُ الْجِهَادِ، حديث رقم: ۲۴۴۶، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ۱۶۳۷، بسنده صحيح

۲ - رواهُ مُسْلِمٌ - كتابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأَمْرَاءَ عَلَى الْبَعْوَثِ، وَوَصِيَّةٌ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَعَيْرِهَا، حديث رقم: ۱۷۳۱

فضل الجِهادِ في سَبِيلِ اللهِ:

ليس في الإسلام عملٌ يعدلُ الجِهادَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ذُلْنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقْفُومَ وَلَا تَقْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَثِنُ فِي طِولِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ».^١

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِي الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَرَجَرَهُمْ عُمُرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَقْتَبِتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ كَمْنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. [التوبه: ١٩]

الآلية إلى آخرها.^٢

١ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كِتَابُ الْجِهادِ وَالسَّيِّرِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهادِ وَالسَّيِّرِ، حَدِيثُ رقم: ٢٧٨٥

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، حَدِيثُ رقم: ١٨٧٩

الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عَمَلٍ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجُّ مَبْرُورٌ».^١

فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، أَعْدَدَهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِّدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِدَلِيلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعْدَدَهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوْهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَهْمَارُ الْجَنَّةِ».^٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبِّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِيَنًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعْدَهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ إِلَيْهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».^٣

١ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ مَنْ قَالَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتُلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورْتَثُمُوهَا إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، حديث رقم: ٢٦، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ كُونِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ٨٣.

٢ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - بَابُ فَضْلِ الْجِهادِ وَالسَّيِّرِ، بَابُ دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث رقم: ٢٧٩٠
٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِمَامَةِ، بَابُ بَيَانِ مَا أَعْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، حديث رقم: ١٨٨٤

تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنِ يَجَاهَ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَعْبٍ فِيهِ عُيْنَةٌ مِنْ مَاءِ عَذْبَةٍ فَأَعْجَبَتُهُ لِطِيبِهَا، فَقَالَ: لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقْمَتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلْ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَا تَفْعَلُ، فَإِنَّ مَقْامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ يَوْمِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ، اغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^١.

وعن مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقُتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا، ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، فَإِنَّ لَهُ أَجْرًا شَهِيدًا»^٢.

قوله: «فُوَاقَ نَاقَةٍ» هو قدر ما بين الحلبتين من الراحة تضم فاؤه وفتح، وقيل ما هو بين السُّحبَيْنِ، والشُّخْبَانِ ما يخرج من اللبن. والفواقي في الأصل رجوع اللبن إلى الضرع بعد الحلب، سمي فُوَاقًا لأنَّه نزل من فوق.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^٣.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٠٧٦٨ ، الترمذى - أبوابُ فضائلِ الجَهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْعُدُوِّ وَالرَّوَاحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث رقم: ١٦٥٠ ، بسنده حسن

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٠٥٠ ، أبو داود - كتابُ الجَهَادِ، بابُ فِيمَنْ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّهَادَةَ، حديث رقم: ٢٥٤١ ، بسنده صحيح

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٦٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا جَهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي حَرَجَ مِنْهُ».^١

أَثْرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجِهَادِ:

الذلُّ:

إذا ترك المسلمون الجihad في سبيل الله تعالى، وأعرضوا عن أمر الله تعالى، ولم يدركوا الغاية التي من أجلها أمرهم الله تعالى بالجهاد، أو أدركوا الغاية من jihad لكنهم آثروا رضى أعداء الله تعالى، أذلهم الله تعالى ذللاً لا عزّ بعده، حتى لا يقيم لهم أعداؤهم وزناً ولا يعرفون لهم قدراً، فلا يقتدوا إذا غابوا، ولا يستشاروا إذا حضروا، يعلّي عليهم أعداؤهم شروطهم إملاءً، وليس لهم معهم إلا الإذاعن والخضوع، يعاملهم أعداؤهم معاملة السيد للعبد، ولا سبيل لهم إلى العزة إلا إذا راجعوا دينهم، وثاب إليهم رشدُهم، وأخذدوا بما أعرضوا عنه من دين الله تعالى؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ، وَأَخْدُمْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالْزَّرْعِ، وَتَرْكُتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذلَّلاً لَا يُنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوهُ إِلَى دِينِكُمْ».^٢

الوقوع في الكفر والنفاق:

قال الله تعالى: ﴿وَقَيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا فَالْلُّوْ نَعْلَمُ فِتَالًا لَا تَبْغَنُكُمْ هُمْ لِلْكُفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.^٣

١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، حديث رقم: ٩٠٦، ومسنون - كتاب الإمام، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم: ١٨٧٦

٢ - رواه أبو داود - كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، حديث رقم: ٣٤٦٢، بسنده صحيح

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٦٧

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْدَنْ لِي وَلَا تَقْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبه: ٤٩]، أي: في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةِ مِنْ نِفَاقٍ». ^١

قال عبد الله بن محمد قاضي نصيبيين: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة: أملى علي ابن المبارك بطرسوس، وودعه، وأنفذها معه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة، هذه الآيات:

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعْلَمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

مَنْ كَانَ يَخْضُبُ خَدَهُ بِدَمْوِعِهِ
فَنُحْوَرَنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

أَوْ كَانَ يُتَعَبُ حَيْلَهِ فِي بَاطِلٍ
فَحُبِولَنَا يَوْمَ الصِّيقَةِ تَتَعَبُ

رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
وَهُجُّ السَّنَابِكِ وَالغَبَارُ الْأَطِيبُ

وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيَّنَا
قَوْلُ صَحِيفَ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ

لَا يَسْتَوِي وَعْبَارَ حَيْلِ اللَّهِ فِي
أَنْفِ امْرِئٍ وَدَخَانَ نَارٍ تَلْهَبُ

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطَقُ بَيْنَنَا
لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمِيتٍ لَا يَكْذِبُ

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم، فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال: صدق.^٢

١ - رواه مسلم - باب ذم مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَرُورِ، حديث رقم: ١٩١٠

٢ - تاريخ الإسلام (١٢ / ٢٤٠)

الْعَدْلُ

وَمِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ الْقَسْطُ وَالْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.^١

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِقَتَا نِسَاءٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ افْتَنْتُلُوْا فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعْثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَقَاتِلُوْا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْفِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.^٢

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.^٣

العدل في ميزان الشرع:

إقامة العدل في الأرض من مقاصد الشرع:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.^٤

١ - سورة المائدة: الآية / ٤٢

٢ - سورة الحجرات: الآية / ٩

٣ - سورة الممتحنة: الآية / ٨

٤ - سورة النحل: الآية / ٩٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُلُّنَا يَدْيِيهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا». ^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظَلْلِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلٌ تَحَاوَلَ فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ وَتَرَقَّا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٌ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ حَالِيَا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». ^٢

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشَرَةً إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْلُولاً لَا يُفْكُكُهُ مِنْهَا إِلَّا عَدْلُهُ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ تَعْلَمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ نَسِيَهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْدَمُ». ^٣

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلَيِّ: "لَمَّا حَجَّ هَارُونُ قَدِيمُ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَيْ مَالِكٍ بِكِيسٍ فِيهِ خَمْسُ مِائَةٍ دِينَارٍ فَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ وَانْصَرَفَ وَقَدِيمُ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَيْ مَالِكٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ أَنْ تَنْتَقِلَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فَعَالَ لِلرَّسُولِ: قُلْ لَهُ: إِنَّ الْكَيْسَ بِخَاتَمِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ». ^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحيث على الرفق بالرعية والنفي عن إدخال المسئلة عليهم، حديث رقم: ١٨٢٧

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمن، حديث رقم: ١٤٢٣، ومسلم - كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٧٥٨، بسنده صحيح

٤ - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - باب ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم، حديث رقم: ١١٢٥

فَالْقُضِيَّاُ بْنُ عِيَاضٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُجَابَةً جَعَلْتُهَا فِي الْإِمَامِ».^١

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ الْأَمْرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ».^٢

الْعَدْلُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى:

فَالَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَيْءًا إِنَّ قَوْمًا عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ لِمَا تَعْمَلُونَ﴾.^٣

الْعَدْلُ بَيْنَ الْزَوْجَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَا لَهُ إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِئْمَهُ مَائِلٌ».^٤

الْعَدْلُ بَيْنَ الْأُوْلَادِ:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَحْلَنِي أَبِي نُحَلَّا، ثُمَّ أَتَى بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ، فَقَالَ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَهُ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمُ الْبَرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ ذَاهِبٍ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي لَا أَشْهُدُ، قَارِبُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ».^٥

١ - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله- باب ذم العالم على مدخلة السلطان الظالم، حديث رقم: ١١١٠

٢ - رواه تمام في فوائد- حديث رقم: ١٥١٦ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله- باب ذم العالم على مدخلة السلطان الظالم، حديث رقم: ١١٠٨

٣ - سورة المائدة: الآية /٨

٤ - رواه أبو داود- كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، حديث رقم: ٢١٣٣ ، والدارمي- ومن كتاب النكاح، باب في العدل بين النساء، حديث رقم: ٢٢٥٢ ، بسنده صحيح

٥ - رواه مسلم- كتاب الأهيات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهيئة، حديث رقم: ١٦٢٣

وعنه رضي الله عنـه قال: سأـلتُ أـمـي أـيـ بـعـضـ المـوـهـبـةـ لـي مـنـ مـالـهـ، ثـمـ بـدـا لـهـ فـوـهـبـهـ لـيـ، فـقـالـتـ: لـأـرـضـيـ حـقـيـ تـشـهـدـ النـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـأـخـذـ بـيـدـيـ وـأـنـاـ عـلـامـ، فـأـتـيـ بـيـ النـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـ: إـنـ أـمـهـ بـنـتـ رـوـاحـةـ سـأـلـتـنـيـ بـعـضـ المـوـهـبـةـ لـهـذاـ، قـالـ: «أـلـكـ وـلـدـ سـوـاـهـ؟ـ»، قـالـ: نـعـمـ، قـالـ: فـأـفـرـاهـ، قـالـ: «لـأـ تـشـهـدـنـيـ عـلـىـ جـوـرـ»، وـقـالـ أـبـوـ حـرـيـزـ عـنـ الشـعـبـيـ، «لـأـ أـشـهـدـ عـلـىـ جـوـرـ».^١

وفي رواية عنـه رضي الله عنـه قال: قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «اعـدـلـوا بـيـنـ أـبـنـائـكـمـ، اعـدـلـوا بـيـنـ أـبـنـائـكـمـ اعـدـلـوا بـيـنـ أـبـنـائـكـمـ».^٢

خطر الظلم:

حد الظلم:

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشـعـرـ: هو عـبـارـةـ عنـ التـعـديـ عـنـ الـحـقـ إـلـىـ الـبـاطـلـ.

وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومحاورة الحـدـ.

حكم الظلم:

الظلم حرام بالكتاب والسنـةـ والإـجـمـاعـ.

١ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهـدـ، حـدـيـثـ رقمـ: ٢٦٥٠، وـمـسـلـمـ - كتاب أـهـيـاتـ، بـابـ كـراـهـةـ تـفـضـيلـ بـعـضـ الـأـوـلـادـ فـيـ الـهـيـةـ، حـدـيـثـ رقمـ: ١٦٣٢

٢ - رواه أحمد - حـدـيـثـ رقمـ: ١٩٣٥٣، وأـبـوـ دـاـوـدـ - كتاب الـبـيـوـعـ، أـبـوـابـ الـإـجـارـةـ، بـابـ فـيـ الرـجـلـ يـفـضـلـ بـعـضـ وـلـدـهـ فـيـ النـحـلـ، حـدـيـثـ رقمـ: ٣٥٤٤، والنـسـائـيـ - ذـكـرـ اـخـتـلـافـ الـفـاقـاطـ النـاقـلـيـنـ لـتـبـرـ النـعـمـانـ بـنـ بـشـيرـ فـيـ النـحـلـ، كتاب النـحـلـ، حـدـيـثـ رقمـ: ٣٦٨٧، والـبـزـارـ - حـدـيـثـ رقمـ: ٣٢٨٤، بـسـنـدـ صـحـيـحـ روـاهـ البـخـارـيـ تعـلـيقـاـ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطِعُمُونِي أُطْعِمُكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوْنِي أَكُسُوكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ حَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضْرُوْنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجْنَنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجْنَنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجْنَنَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوْنِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتُهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ بِمَا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْفَصُ المِحِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوْقِيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ حَيْرًا فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنِ الْمُسْلِمِ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِكَعْبَةً مِنْ كُرْبَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٢

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، حدث: ٤٧٨٠

٢ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كتاب المظالم والغضب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حدث: ٢٣٣٠، ومُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، حدث: ٤٧٨٣

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِئُ الظَّالَمَ فَإِذَا أَحْدَهُ لَمْ يُغْلِبْهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَحْدُ رِبِّكَ إِذَا أَحْدَ الْقُرْبَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَحْدَهُ أَلَيْمٌ شَدِيدٌ﴾.^١

حُكْمُ مُجَالَسَةِ الظَّالِمَةِ:

مُجَالَسَةِ الظَّالِمِ مُحْرَمَةٌ بِنَصِّ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَالَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَحْوِضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَحْوِضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْمِذْكُرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.^٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.^٣

مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنِ الظُّلْمِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَنْصُرْ اَحَادَ ظَالِمِيْمَا اُوْ مَظْلُومِيْمَا». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ اَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، اَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ اَنْصُرْهُ قَالَ: «تَحْجُرُهُ اُوْ تَمْنَعُهُ مِنِ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».^٤

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم، حديث: ٤٧٨٦

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٦٨

٣ - سورة هود: الآية / ١١٣

٤ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبته: إنه أخوه، حديث رقم: ٦٥٦٩

من صور الظلم:

الشِّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى:

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُمُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.^{١.}

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلِسِّنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَيْسَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».^{٢.}

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرْقَى نَفْصُلُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ...﴾.^{٣.}

ظلم العبد لغيره:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاءً وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَدَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَا لَمْ يَرِدْ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَيَتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ أَخِذَ مِنْ حَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».^{٤.}

١ - سورة لقمان: الآية / ١٣

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر، حديث رقم: ٣٢٦١

٣ - سورة هود: الآية / ١٠٢ ، ١٠١

٤ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداء، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١

ظُلْمُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَئُنَا مَمْ يَظْلِمُنَا نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَةَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».١

عَاقِبَةُ الظُّلْمِ:

عِقَابُ الظُّلْمِ فِي الدُّنْيَا:

الظالم يتقلب في سخط الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.٢

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.٣

وإخبار الله تعالى عن نفسه أنه: ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يتضمن أمرتين: الأولى: أن الله تعالى لا يحب من اتصف بالظلم، وهو من ظلم غيره حَقًا له، أو وضع شيئاً في غير موضعه، ويتضمن نفي جل ثناؤه عن نفسه أن يظلم أحدًا من عباده.

١ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كِتَابُ اسْتِئْنَاتِهِ الْمُرْتَدِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقَاتِلِيهِمْ وَإِثْمٌ مِّنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعُفْوَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُنَأْوِلِينَ، حديث رقم: ٦٩٣٧

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٤٠

٣ - سورة الشورى: الآية/ ٤٠

تعجّيل العقاب للظالم في الدنيا مع ما ينتظره في الآخرة:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَخْرَى
أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ مَعَ مَا يُؤْخَرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ بَغْيٍ أَوْ قَطْيَعَةِ رَحْمٍ».^١

دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ مُسْتَجَابَةً:

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعاذِ بْنِ جَبَلٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى
أَنْ يَشْهُدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَحْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَحْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، ثُوَّبْتُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ
وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِيَنَهُ وَبِيَنَهُ حِجَابٌ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ
مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ».^٣

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سُمْرَةَ قَالَ شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ
عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هُؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ

١ - رَوَاهُ أَحْمَدُ - ٢٠٣٩٨ ، وَالبَخْرَارِيُّ فِي الْأَدْبُرِ الْمُفَرْدِ - بَابُ عُقُوبَةِ قَاطِعِ الرَّحْمِ فِي الدُّنْيَا، حَدِيثُ رَقْمِ: ٦٧، وَالبَزَارُ فِي
مُسْنَدِهِ - حَدِيثُ رَقْمِ: ٣٦٧٨، وَابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ - الْفَاظُ الْوَعِيدُ عَلَى أَشْيَاءِ مِرَادِهَا الزَّجْرُ عَنِ ارْتِكَابِ تِلْكَ الأَشْيَاءِ
بِأَعْيُنِهِمْ، ذِكْرُ تَعْجِيلِ اللَّهِ بَحْلَ وَعَلَالِ الْعُقُوبَةِ لِلْفَقَاطِعِ رَحْمَهُ فِي الدُّنْيَا، حَدِيثُ رَقْمِ: ٢٩١٢، وَصَحَحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

٢ - رَوَاهُ الْبَخْرَارِيُّ - كِتَابُ الرِّزْكَةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَدُّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، حَدِيثُ رَقْمِ: ١٤٩٦
وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، حَدِيثُ رَقْمِ: ١٩

٣ - رَوَاهُ أَحْمَدُ - حَدِيثُ رَقْمِ: ٧٥١٠، وَأَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ بِظَهَرِ الْعَيْبِ، حَدِيثُ رَقْمِ: ١٥٣٦
وَالْتَّرْمِذِيُّ - أَبْوَابُ الْبَرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دَعْوَةِ الْوَالِدَيْنِ، حَدِيثُ رَقْمِ: ١٩٥٠
وَابْنُ حَبَّانَ - كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الْمُسَافِرِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ دَعْوَةَ الْمُسَافِرِ لَا تَرَدُّ مَا دَامَ فِي سَفَرِهِ، حَدِيثُ رَقْمِ: ٢٦٩٩

أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّى قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّى بِهِمْ صَلَاتَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّى صَلَاتَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الْأُولَئِينَ وَأَخْفُ فِي الْآخْرَيْنَ. قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَمَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُشْتُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِيَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَسَاطِيرُ بْنُ قَتَادَةَ يُكَثِّي أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيرَةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوَيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْفَضْيَةِ. قَالَ سَعْدٌ أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُونَ بِثَلَاثَةِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطْلَانَ عُمْرَهُ، وَأَطْلَانَ فَقْرَهُ، وَعَرِضَهُ بِالْفِتْنَ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَقْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ (بْنُ عَمِيرٍ) فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدَ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

وعنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوْيِسِ خَاصَمَتُهُ فِي بَعْضِ دَارِهِ فَقَالَ دَعُوهَا وَإِيَاهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَدَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِعَيْرٍ حَقِّهُ طُوقَهُ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا. قَالَ فَرَأَيْنَهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ تَقُولُ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ. فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بَعْرٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَتْ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهَا.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْأَدَانِ، بَابُ وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْمُحْضِ وَالسَّنَنِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافِتُ، حديث رقم: ٧٥٥

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْمُسَاقَةِ، بَابُ تَحْريمِ الظُّلُمِ وَعَصْبِ الْأَرْضِ وَعِيْرِهَا، حديث رقم: ١٦١٠

من العقاب على الظلم في الدنيا تحريم الطيبات.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلْتُ طُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَایَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَزِيَّنَاهُمْ بِإِعْيُونِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ .^١

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فِي ظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ الَّلهِ كَثِيرًا ﴾ .^٢

الظَّالِمُ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .^٣

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ حَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَاعَةِ جُرُفٍ هَارِ فَأَهْكَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .^٤

ومن العقاب في الدنيا الهملاك العام.

قال الله تعالى: ﴿ وَتَلْكَ الْفَرِى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ .^٥

١ - سورة الأنعام: الآية / ١٤٦

٢ - سورة النساء: الآية / ١٦٠

٣ - سورة المائدة: الآية / ٥١

٤ - سورة التوبه: الآية / ١٠٩

٥ - سورة الكهف: الآية / ٥٩

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيْنِ مِنْ قَرِيهِ عَتَّ عَنْ أَمْرِ رِئَاها وَرُسُلِهِ فَحَاسَبَنَاها حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَنَاها عَذَابًا نُكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَهُ أَمْرِهَا حُسْنًا﴾. ^١

وقال تعالى: ﴿فَكَأَيْنِ مِنْ قَرِيهِ أَهْلَكْنَاها وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشَهَا وَبِئْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾. ^٢

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: دولة الكفر مع العدل تدوم، ودولة الإسلام مع الظلم لا تدوم.

عقاب الظُّلْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثُقَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوْقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ». ^٣

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَئِي الظُّلْمِ أَعْظَمُ قَالَ: «ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَقِصُهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَيْسَتْ حَصَاءً مِنَ الْأَرْضِ أَحْدَهَا إِلَّا طُوقَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى قَعْدِ الْأَرْضِ وَلَا يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا».

القصاصُ مِنَ الظُّلْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدِّنَ الْحُمُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَاتَدَ لِلشَّاهِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاهِ الْقَرْنَاءِ». ^٤

١ - سورة الطلاق: الآية / ٨ ، ٧

٢ - سورة الحج: الآية / ٤٥

٣ - رواه مسلم - كتاب البيوع، باب تحريم الظُّلْمِ وغضب الأرض وغيثها، حدث رقم: ١٦١٠

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٧٦٧، والطبراني في الكبير - حدث رقم: ١٠٥١٦، بسنده حسن

٥ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب تحريم الظُّلْمِ، حدث رقم: ٢٥٨٢

الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

من العقاب الذي رتبه الله تعالى على الظالم يوم القيمة أنه يتختبط في الظلمات، جزاءً وفافاً؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلُهُمْ عَلَى أَنْ سَقَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلُوا مَحَارِمَهُمْ».^١

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٢

قال المهلب: هذه الظلمات لا نعرف كيف هي، إن كانت من عمي القلب أو هي ظلمات على البصر، والذي يدل عليه القرآن أنها ظلمات على البصر حتى لا يهتدى سبيلاً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتِسِنَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُو وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣]، فدلت الآية أنهم حين منعوا النور بقوا في ظلمة غشيت أبصارهم كما كانت أبصارهم في الدنيا عليها غشاوة من الكفر، وقال تعالى في المؤمنين: ﴿يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَعْنَاهُمْ﴾ [الحديد: ١٢]، فأثاب الله المؤمنين بلزوم نور الإيمان لهم، ولذهم بالنظر إليه، وقوى به أبصارهم، وعاقب الكفار والمنافقين بأن أظلم عليهم، ومنعهم لذة النظر، هذا حديث محمل بينه دليل القرآن.^٣

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٨

٢ - رواه البخاري - كتاب المظالم، باب: الظلُّمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٤٤٧، ومسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٩

٣ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٧٦ / ٦)

قلت ولا مانع أن يجمع الله تعالى بين عمى الأ بصار وعمى القلوب يوم القيمة؛ كما تعاملوا في الدنيا عن حقوق العباد، واستباحوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: «الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ»، فلكل واحد من الظلمة ظلمات يوم القيمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الظُّلْمِ مَطْلُعَ الْغَنِيِّ وَإِذَا أَتَيْتُمْ أَحَدًا كُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلِيَتَبَعْ». ^١

الظُّلْمُ مِنْ أَسْبَابِ العَذَابِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

قال الله تعالى: ﴿وَاثْنُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَيَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتُفْسِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَنْ يُتَفَقَّلُ مِنْ الْآخِرِ قَالَ لِأَقْتُلْنَاهُ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَعْتَذِّرَنِي مَا أَنَا بِيَاسِطٍ يَدِيِّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾. ^٢

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِإِنْسَانٍ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَهَمُّا فِي النَّارِ حَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾. ^٣

فَالظُّلْمُ عَقْبَاهُ تَفْضِي إِلَى النَّدَمِ لا تُظْلِمْنَ إِذَا كُنْتَ مُقتَدِرًا *****

يَدْعُوكَ وَالظُّلْمُ مُنْتَبَهٌ تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالظُّلْمُ مُنْتَبَهٌ *****

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ تَحْكِيمِ مَطْلِعِ الْغَنِيِّ وَصِحَّةِ الْحَوَالَةِ وَاسْتِحْجَابِ قَبْوَلِهَا إِذَا أُحْبِلَ عَلَى مَلِيٍّ، حديث رقم:

١٥٦٤

٢ - سورة المائدة: الآية / ٢٩

٣ - سورة الحشر: الآية / ١٦ ، ١٧

الولاء والبراء

من أسباب محبة الله تعالى للعباد، الحب في الله والبغض في الله، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجْهِمُونَ وَيُجْبُونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾^١.

فإن قول الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.....﴾، علامة محبة الله تعالى لهم؛ فإنهم لما اتصفوا بتلك الصفات أحبهم الله تعالى، وهذا هو الولاء والبراء.

معنى الولاء والبراء:

الولاء في اللغة: أن يتشارج اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحيشه. ووالى فلان فلانًا: إذا أحبه.^٢

وفي الشرع: عبارة عن محبة المؤمنين ومؤازرتهم، والدفاع عنهم والاهتمام لشأنهم؛ وبغض الكافرين والتبرؤ منهم ومن اعتقاداتهم.

والولاء يدور معناه حول: المحبة والنصرة والمتابعة.

١ - سورة المائدة: الآية / ٥٤

٢ - لسان العرب (١٥ : ٤٠٩)

منزلة الولاء والبراء:

الولاء والبراء من أسباب محبة الله تعالى للعبد:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجْهِزُهُمْ وَيُجْبِنُهُمْ أَذْلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ ﴾^١.

الولاء والبراء أو ثق عرى الإسلام:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن مسعود»، قلت: لبيك ثلاثة، قال: «هل تدركون أي عرى الإيمان أو ثق» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «الولائية في الله، والحب في الله، والبغض في الله».^٢

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله».^٣

وعنه رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أي عرى الإسلام أوثق»، قالوا: الصلاة، قال: «حسنة، وما هي إلا حسنة، وما هي إلا حسنة»، قالوا: الركعة، قال: «حسنة، وما هي إلا حسنة»، قالوا: صيام رمضان، قال: «حسن، وما هو إلا حسن»، قال: «الحج، وما هو إلا حسن»، قالوا: الجهاد، قال: «حسن، وما هو إلا حسن»، قال: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله».^٤

١ - سورة المائدة: الآية / ٥٤

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٥٣١، وابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٢١، بسنده صحيح

٣ - رواه ابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٠٤٢٠، بسنده منقطع

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨٥٢٤، بسنده حسن

المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يُلْحِقُ بِهِمْ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».^١

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ، قَالَ: «أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ»، قَالَ: فَإِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ». قَالَ: فَأَعْادَهَا أَبُو ذَرٍّ فَأَعْادَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاةً وَلَا صَوْمِ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ».^٣

الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ من عقيدة الخليل إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أمرنا بالتأسي به:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَزَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.^٤

١ - رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ٦١٧٠، وَمُسْلِمٌ- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حديث رقم: ٢٦٤١

٢ - رواه أبو داود- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلُ يُحَبِّبُهُ إِيَّاهُ، حديث رقم: ٥١٢٦، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٤١، ٨٠، بسنده صحيح

٣ - رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ٦١٧١، وَمُسْلِمٌ- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حديث رقم: ٢٦٣٩

٤ - سورة التغابن: الآية / ٤

لوازم الولاء والبراء:

عدم اتخاذ الكفار بطانةً من دون المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُوْدًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَأْتِ الْبَعْضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ...﴾^١.

من أظهر أمارات الخذلان، ومن أوضح دلائل الخيبة والخسران: اتخاذ أعداء الله بطانة من دون المؤمنين، واطلاعهم على أسرار المسلمين، واستشارتهم في كل صغيرة وكبيرة من أمور المسلمين، والصدور بعد ذلك عن أرائهم، والعمل بتوصياتهم، والسير وفق تعليماتهم، ومن العجيب أن الأمر لم يقف عند حدٍ، بل امتد ذلك حتى طال مناهج التعليم، والمقررات الدينية، نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر أنفسنا.

عدم مناصرة الكفار على المؤمنين:

ومن لوازم الولاء والبراء: عدم خذلان المستضعفين من المسلمين، وعدم مناصرة الكفار عليهم إذا كان بينهم قتال وحروب؛ قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٍ﴾ [التوبية: ٧١]، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فإن مناصرة أعداء الله على أولياء الله ما يقدح في توحيد العبد، ومن أسباب فقد الإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا تَخَذُوهُمْ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^٢.

وقال في موضع آخر: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^٣.

١ - سورة آل عمران: الآية / ١١٨

٢ - سورة المائدة: الآية / ٨١

٣ - سورة التوبه: الآية / ٦٧

وعن قيس بن عبد الله قال: «انطلقت أنا والأستار إلى علي رضي الله عنه فقلنا: هل عهد إليك نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس عاماً؟ قال: لا، إلا ما كان في كتابي هذا - فأخرج كتاباً من قرائب سيفه فإذا فيه: المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بدمتهم أذناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد بعهده، من أحدث حدثاً فعل نفسيه، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».^١

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جديه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تكافأ دماؤهم. يسعى بدمتهم أذناهم، ونجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم يريد مسدهم على مضعبهم، ومتسر لهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده» ولم يذكر ابن إسحاق: القواد والتكافؤ».^٢

وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلمون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بدمتهم أذناهم، ويرد على أقصاهم».^٣

عدم التشبه بهم:

عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خالفوا المشركيين أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى».^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٩٣، وأبو داود - كتاب الديات، باب أيقاد المسلمين بالكافر، حديث رقم: ٤٥٣٠ والنسائي - كتاب الفسامة، باب القواد بين الأحرار والممالikel في النفس، حديث رقم: ٤٧٣٤، بسنده صحيح

٢ - رواه أبو داود - كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، حديث رقم: ٢٧٥١، بسنده صحيح

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الديات، باب المسلمين تكافأ دماؤهم، حديث رقم: ٢٦٨٣، بسنده صحيح

٤ - رواه البخاري - كتاب النياس، باب تغليم الأطفال، حديث رقم: ٥٨٩٢، ومسلم - كتاب الطهارة، باب خصال

الفطرة، حديث رقم: ٢٥٩

وَعَنْ شَدَّادٍ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِقُوا إِلَيْهُو
فَإِلَّا هُمْ لَا يُصَلِّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ».^١

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ
مِنْهُمْ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو، قَالَ: «مَنْ بَنَى بِيَلَادِ الْأَعَاجِمِ وَصَنَعَ نَيْرُوزَهُمْ وَمَهْرَجَاهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ
حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٣

عدم الاحتفال بأعيادهم:

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا
فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: «كَانَ لَكُمْ يَوْمًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ
اللَّهُ بِهِمَا حَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى».^٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّعْوِ مَرُوا كِرَاماً﴾.^٥

وعن الضحاك أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الزُّورَ﴾. أعياد المشركين.

١ - رواه أبو داود- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الصَّلَاةِ فِي النَّغْلِ، حدث رقم: ٦٥٢، وابن حبان- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فَرْضِ مُتَابَعَةِ الْإِمَامِ، ذَكَرَ الْأَمْرَ بِالصَّلَاةِ فِي الْخَفَافِ وَالنَّعَالِ إِذَا أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَفْعَلُونَهُ، حدث رقم: ٢١٨٦، والطبراني في الكبير- حدث رقم: ٧١٦٥، بسنده صحيح

٢ - رواه أحمد- حدث رقم: ٥١١٥، وأبو داود- كِتَابُ الْلَّيَاسِ، بَابُ فِي لُبْسِ الشُّهْرَةِ، حدث رقم: ٤٠٣١، والبزار- حدث رقم: ٢٩٦٦، بسنده صحيح

٣ - رواه البيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ الْجِزِيرَةِ، بَابُ كَرَاهِيَّةِ الدُّخُولِ عَلَى أَهْلِ الدِّيَمَةِ فِي كَنَائِسِهِمْ وَالشَّشِّيَّهِ بِهِمْ يَوْمَ
نَيْرُوزَهُمْ وَمَهْرَجَاهُمْ، حدث رقم: ١٨٨٦٣

٤ - رواه النسائي- كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، حدث رقم: ١٥٥٦، بسنده صحيح

٥ - سورة الفرقان: الآية / ٧٢

وقال الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ: لا يجوز شهود أعياد النصارى واليهود لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧]، كالقبلة والصلوة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر.

أثر مولاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله:

من آثار مولاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله تعريض النفس لمقت الله تعالى واستحقاق العذاب؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾^١.

من تولى قوماً كان منهم وحشر يوم القيمة معهم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلَيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٢.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم».^٣

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، قال: "من بني بيلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشيش معهم يوم القيمة".^٤

١ - سورة النساء: الآية / ١٤٤

٢ - سورة المائدة: الآية / ٥١

٣ - تقدم تخریجه

٤ - تقدم تخریجه

موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين سبب سخط الله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ ذُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ ثُقَّةً وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .^١

موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين سبب ضياع الإيمان:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءُهُمْ أَوْ أَبْنَاءُهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَبَرِّي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .^٢

موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين تقطع صلة العبد بالله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ ذُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ ثُقَّةً وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .^٣

موالاة الكفار من أخص صفات المنافقين:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَسِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ ذُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ .^٤

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الطاعات الواجبات لله تعالى إذا كان لها صلة بأعياد المشركين؛ فعن ثابت بن الصحاح رضي الله عنه قال: ندر رجل على عهد رسول الله

١ - سورة آل عمران: الآية / ٢٨

٢ - سورة المجادلة: الآية / ٢٢

٣ - سورة آل عمران: الآية / ٢٨

٤ - سورة النساء: الآية / ١٣٨ ، ١٣٩

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرِ إِبْلًا بِيُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَدَرْتُ أَنْ أَنْحَرِ إِبْلًا بِيُوَانَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أُوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ». قَالُوا: لَا. قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ». قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَدْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَدْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».^١

فوائد:

الولاء والبراء لا ينافي العدل:

لا تلازم أبداً بين تحقيق الولاء والبراء والظلم؛ فإن الولاء والبراء لا ينافي العدل؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.^٢

أي: لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا في تعاملكم معهم، اعدلوا في كل أحوالكم ومع أعدائكم فذلك يجعلكم أقرب للتقوى.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.^٣

الولاء والبراء لا ينافي البر:

وما يجب الانتباه له أن الولاء لأهل الإيمان والبراء من الكفر والكفار لا ينفي البر والإحسان، فإن البر يكون للناس جيئا بالإحسان يكون للناس جيئا مؤمنهم وكافرهم، بخلاف الحب فإنه لا ينبغي إلا للمؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ

١ - رواه أبو داود- كتاب الأيمان والنور، باب مَا يُؤمِرُ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالنَّدْرِ، حديث رقم: ٣٣١٣، والطبراني في الكبير- حدديث رقم: ١٣٤١، والبيهقي في السنن الصغرى- كتاب الأيمان والنور، باب مَنْ نَدَرَ أَنْ يَنْحَرِ بِعَيْرٍ مَكَّةَ لِيَنْصَدِّقَ، حديث رقم: ٣٢٢٣، بسنده صحيح

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٨

٣ - سورة المائدة: الآية/ ٢

مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَرُوُهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَرُوُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهُنَا عَلَىٰ وَهُنِّي وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^٢.

والتفريق بين البر والحسد أمرٌ مهمٌ وهي مسألة ضلت فيها أفهم، وزلت فيها أقدام، واتخذها فريق من أهل الضلال ذريعةً لطمس معالم الشريعة، وتغيير أحكام الدين، والتلبيس على العوام دينهم، فزعموا أن البر هو الحسد، وأنه لا ولا ولا براء، وصرحوا بمحبة أعداء الإسلام، ومعاداة من نادى بوجوب البراءة من الكفر والكافر.

١ - سورة المتحنة: الآية / ٨ ، ٩

٢ - سورة لقمان: الآية / ١٥

الصَّدَقَةُ

من أسباب محبة الله تعالى للعباد الصدقة إذا أراد بها صاحبه وجه الله تعالى؛ عن أبي ذئر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله؛ أما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يساهم بقرابة بينهم وبينه، فتحلف رجل بأعفائهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاهم، وقوم ساروا ليتهم حتى إذا كان النوم أحبت إليهم مما يعدل نزولاً فوضعوا رؤوسهم، فقام يتملقني ويتلوا آياتي، ورجل كان في سريره، فلقي العذور فهزموا، فقبل بصدره، حتى يقتل أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله الشیخ الزان والفقیر المحتال والغنى الظلوم». ^١

فضل الصدقة:

من تصدق بصدقة فاخفاها أظلله الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلوهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشا في عبادة ربّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه، ورجل طبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنّ أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شمائلها ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله حالياً ففاضت عيناه». ^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٥، والترمذى - أبواب صفة الجنّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٥٦٨، والنمسائى - كتاب الزكاة، ثواب من يعطي، حديث رقم: ٢٥٧٠، والحاكم - كتاب الزكاة، حديث رقم: ١٥٢٠، وابن حبان - النوع الثاني لفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن التبات في المخرب عند انحراف المسلمين مما يحبه الله، حديث رقم: ٣٨٠، وابن خزيمة - كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المسند على الشريطة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب ذكر حب الله عز وجل المحففي بالصدقة، حديث رقم: ٢٤٥٦، بسنده صحيح

٢ - رواه البخارى - باب وجوب الزكاة، باب الصدقة باليمين، حديث رقم: ١٤٢٣، ومسلم - كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١

مَنْ تَصَدَّقَ بِصِدَقَةٍ كَانَ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَيْبٍ، أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَعَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ» قَالَ يَزِيدُ: فَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمًا لَا يَصَدِّقُ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً وَلَوْ بَصَلَةً.^١

الصَّدَقَةُ بُرهَانٌ:

عَنْ أَبِي مَالِكِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلِّأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّأُنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ وَالصَّابِرُ ضِيَاءُ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَعْدُو فَبَاعِيْ نَفْسَهُ فَمُعْتَقِّهَا أَوْ مُوبِقِّهَا».^٢

قال النووي: معناه الصَّدَقَةُ حُجَّةٌ عَلَى إِيمَانِ فَاعِلِهَا فَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَمْتَنِعُ مِنْهَا لِكَوْنِهِ لَا يَعْتَقِدُهَا فَمَنْ تَصَدَّقَ اسْتُدِلَّ بِصِدَقَتِهِ عَلَى صِدْقِ إِيمَانِهِ.^٣

الصدقة وقاية لصاحبتها من صنوف البلاء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَيْتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٣٣٣، وابن حبان - النوع الثاني، الفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأنَّ ظِلَّ كُلُّ امْرِئٍ فِي الْقِيَامَةِ يَكُونُ صَدَقَتَهُ، حديث رقم: ٢٢٩، وابن خزيمة - كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المسند على الشريطة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب إطلال الصَّدَقَةِ صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْفَرَاغِ مِنْ الْحُكْمِ بَيْنَ الْعِيَادِ، حديث رقم: ٢٤٣١، والحاكم - كتاب الزكاة، حديث رقم: ١٥١٧، بسنده صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣

٣ - شرح النووي على مسلم (١٠١ / ٣)

وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِي بَنَانَهُ وَتَعْفُوْ أَثْرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لِزَقْتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَاهِنًا، فَهُوَ يُؤْسِعُهَا وَلَا تَنْسِعُ».^١

قال المهلب: فيه أن الله تعالى ينمى مال المتصدق، ويستره ببركة نفقته بالنمو في ماله، ألا ترى ضربه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المثل بالجنتين، فإن المتفق يستره الله بنفقته من قرنه إلى قدمه، وجميع عوراته بالفعل في الدنيا وبالأجر في الآخرة، فماه لا يشتدد عليه، وأما البخيل فيظن أن ستره في إمساك ماله، فماه لا يمتد عليه فلا يستر من عوراته شيئاً حتى تبدو للناس، فيبقى منكشفاً كمن يلبس جبة تبلغ إلى ثدييه، ولا تجاوز قلبه الذي يأمره بالإمساك، فهو يفتضح في الدنيا، و يؤزر في الآخرة.^٢

والصدقه تستر خطايا المتصدق كما يستر الثوب الذي يجر على الأرض أثر مشي لابسه بمرور الذيل عليه، فضرب المثل بدرع سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنها.^٣

صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

وعنْ بَهْرِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». ^٤

الله تبارك وتعالى يبارك في الصدقات ويربيها لصالحها:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.^٥

١ - رواه البخاري-كتاب الركوة، باب مثل المتصدق والبخيل، حديث رقم: ١٤٤٣، ومسلم-كتاب الركوة، باب مثل المتفق والبخيل، حديث رقم: ١٠٢١

٢ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤١ / ٣)

٣ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٨ / ٣)

٤ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠١٨ ، والأوسط - حديث رقم: ٩٤٣ ، بسنده صحيح

٥ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٦

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تُمْرِئُهُ مِنْ كُسْبٍ طَيْبٍ، وَلَا يَقْبِلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيْبُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَعْقِلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيكُهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيكِي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».^١

ثُبُوتُ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَا تَصَدَّقَ فِي اللَّيْلَةِ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصْدِقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَا تَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصْدِقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَسَارِقٍ، فَأَتَيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَا صَدَقْتُكَ فَقَدْ فُلِتْ، أَمَا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُ إِلَيْهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفَقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُ إِلَيْهَا عَنْ سَرْقَتِهِ».^٢

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ رَزْوَجِينِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِي فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا حَيْرَةٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ

١ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب: لَا يَقْبِلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا يَقْبِلُ إِلَّا مِنْ كُسْبٍ طَيْبٍ لِغَوْلِهِ: ﴿وَيُرِيكُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، حدث رقم: ١٤١٠، ومسلم - كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حدث رقم: ١٠١٤

٢ - رواه البخاري - باب وُجُوبِ الزَّكَاةِ وَقُوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، باب: إِذَا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيٍّ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، حدث رقم: ١٤٢١، ومسلم - كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلهما، حدث رقم: ١٠٢٢

الصَّلَاة، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».^١

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنِ النَّارِ:

عَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقٍّ تَمَّةٍ».^٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِثُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَيَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَرِّ الرَّجُلِ الْخَازِمِ مِنْ إِحْدَائِكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُفْصَانُ دِينَنَا وَعَقْلَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَدَلِيلُكِ مِنْ نُفْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَدَلِيلُكِ مِنْ نُفْصَانِ دِينِهَا».^٣

١ - رواه البخاري- كتاب الصوم، باب: الريان للصائمين، حديث رقم: ١٨٩٧، ومسلم- كتاب الزكوة، باب من جمع الصدقة، وأعمال البر، حديث رقم: ١٠٢٧

٢ - رواه البخاري- كتاب الزكوة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة «ومثل الذين ينفقون أموالهم انتهاة مرضات الله وتنبيتاً من أنفسهم»، حديث رقم: ١٤١٧، ومسلم- كتاب الزكوة، باب الحث على الصدقة، ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، حديث رقم: ١٠١٦

٣ - رواه البخاري- كتاب الزكوة، باب الزكاة على الأقارب و قال النبي صلى الله عليه وسلم له أجران أجر القرابة والصدقة، حديث رقم: ١٤٦٢، ومسلم- كتاب الإيمان، باب بيان نفصال الإيمان بتفصيل الطاعات وببيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، كفر النعمة والحقوق، حديث رقم: ١٣٢

مَنْ أَنْفَقَ أُنْفِقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَحْصَى أُحْصِى عَلَيْهِ:

فَقُهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ حَيْرُ الْمَارِقِينَ ۝ ۱۰۰

وَعَنْ أَيِّ هُرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَيْنَا إِبْرَاهِيمَ أَنْفِقَ أَنْفِقْ عَلَيْكَ». ٢

فَيُخْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكُ، وَلَا تُنْعِي، فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكُ». ٣

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدِلُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمًا هِيَ وَإِنْ شُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ يَكُفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسْبٌ﴾ .

عَنْ حُذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ يَحْفَظُ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذِيفَةَ أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، ثُكَّفُرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ»، قَالَ: لَيْسَ أَسْأَلُ عَنْ ذَهِ، إِنَّمَا أَسْأَلُ عَنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ،

١ - سورة سباء: الآية / ٣٩

٢ - رواه البخاري - **كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾**، حديث رقم: ٤٦٨٤ ، ومسلم - **كتاب الزكاة، باب الحث على النعمة وتبشير المُنْفِق بالخلفي**، حديث رقم: ٩٩٣

كتاب الرِّكَّاةِ، بَابُ الْحِلْثَةِ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَكَرَاهَةِ الْإِحْصَاءِ، حديث رقم: ١٠٢٩
كتاب الْرِّزْكَةِ، بَابُ سَفِيهَةَ مَمْبُجِزْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾، حديث رقم: ٢٥٩١، ومسلم -
إِذَا لَمْ تَكُنْ سَفِيهَةً فَإِذَا كَانَتْ سَفِيهَةً لَمْ يُبْجِزْ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾، حديث رقم: ٢٥٩١، ومسلم -
رواہ البخاری - کتاب الہبیۃ وفضلہا والتحریر علیہا، باب هبۃ المرأة لغير روحھا وعتقیھا إذا کان لها زوج فهو جائز ۳

٤ - سورة البقرة: الآية / ٢٧١

قَالَ: وَإِنَّ دُونَ ذَلِكَ بَابًا مُعْلَقًا، قَالَ: فَيُفْتَحُ أَوْ يُخْسَرُ؟ قَالَ: يُخْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَجْدَرُ أَنْ لَا يُعَلَّقَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.^١

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ مِنَ الْأَدْوَاءِ:

عَنْ أَبِي كَبِشَةَ الْأَنْجَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ أَفْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَاحْدَدُوكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»، قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلْمٌ عَبْدُ مَظْلِمٍ فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسَأَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ». ^٢
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَأْوُوا مَرْضَاتُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ».^٣

أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ أَجْرًا:

الصَّدَقَةُ مَا يُحِبُّ:

أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ أَجْرًا، أَنْ يَتَصَدَّقَ الْمُتَصَدِّقُ مَا يُحِبُّ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِعُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.^٤

وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ خَلِيلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بِيُرْحَاءِ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةُ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

١ - رواه البخاري - كتاب مواقف الصلاة وفضائلها وقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مُؤْفُوتًا﴾ مُوقَتاً وفَتَهُ عَلَيْهِمْ، باب: الصَّلَاةُ كَفَارَةٌ، حديث رقم: ٥٢٥، ومسلم -كتاب الفتن وأشرطة الساعية، باب في الفتنة التي تُمُوجُ كموج البحر، حديث رقم: ١٤٤

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨٠٣١، والترمذمي - أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء مثلاً الدنيا مثل أربعة نفرين، حديث رقم: ٢٣٢٥، بسنده صحيح

٣ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠١٩٦، والأوسط - حديث رقم: ١٩٦٣، والدعاء - حديث رقم: ٤٨، بسنده ضعيف

٤ - سورة آل عمران: الآية / ٩٢

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرُبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيْبٌ، قَالَ أَنَّسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَبِّهَا وَدُحْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخِ، ذَلِكَ مَالٌ رَاجِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَلَيْسَ أَرَى أَنْ تَجْعَلُهَا فِي الْأَقْرَبَيْنِ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقْارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. ١

الصدقةُ من الحلالِ الطيبِ:

وَأَنْ يَتَصَدَّقُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلَا يَنْفَقُ مِنَ الرَّدِئِ الَّذِي تَعْفَهُ نَفْسُهُ، وَلَا يَقْبِلُهُ إِلَّا هُوَ إِلَّا مَضْطَرًّا عَلَى مَضْضٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَحْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَا سُتُّمْ بِأَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾. ٢

الصدقةُ حَالَ الصَّحَّةِ وَطُولَ الْأَمْلِ:

وَأَنْ يَتَصَدَّقُ حَالَ صَحَّتِهِ وَعَافِيَتِهِ، وَقَدْ امْتَدَتِ فِي عِينِهِ الْأَمَالُ الطَّوَالُ، وَهُوَ يَسْعِي فِي تَحْقِيقِهَا سعيًا حَشِيدًا، فَلَا يَسْتُوِي مَنْ هَذَا حَالُهُ وَمَنْ كَنْزُ الْمَالِ طُولُ عُمْرِهِ، وَبَخْلُهُ بِهِ فِي نَشَاطِهِ

١ - رواه البخاري - كتاب الركأة، باب الركأة على الأقارب و قال النبي صلى الله عليه وسلم له أجزان أجر القرابة والصدقة، حديث رقم: ١٤٦١، ومسلم - كتاب الركأة، باب فضل النفقه، والصدقة على الأقربين والزوج، والأولاد، والوالدين، ولو كانوا مشركيين، حديث رقم: ٩٩٨

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢٦٧

وصحته، حتى إذا داهمه الموت، قال وقد غلبه اليأس: لفلان كذا ولفلان كذا، وأنى أوان الصدقة؟
هلا كان هذا قبل أن يداهمك الموت، ويحول بينك وبين ما جمعت؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَصَدِّقَ وَأَنْتَ صَاحِحٌ شَحِيقٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغَنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلْفُومَ قُلْتَ: لِفَلَانٍ كَذَا، وَلِفَلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفَلَانٍ». ^١

جُهْدُ الْمُقْلِّ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جُهْدُ الْمُقْلِّ، وَابْدَأْ إِمْنَانَ تَعْوُلٍ». ^٢

١ - رواه البخاري-كتاب الزكاة، باب: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ وَصَدَقَةُ الشَّحِيقِ الصَّحِيحِ لِتَوْلِيهِ: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية، حديث رقم: ١٤١٩، ومسلم-كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحبيح، حديث رقم: ١٠٣٢

٢ - رواه أحمد-حديث رقم: ٨٧٠٢، وأبو داود-كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، حديث رقم: ١٦٧٧، وابن خزيمة-كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المستند على الشرط التي ذكرها في أول الكتاب، باب ذكر الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فضل صدقة المقلل إذا كان فضلاً عمّن يغول، لا إذا تصدق على الأبعد وترك من يغول جياعاً عراة إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بپند من يغول، حديث رقم: ٢٤٤٤، وابن حبان- النوع الثاني، ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن من أفضل الصدقة إخراج المقلل بعض ما عنده، حديث رقم: ٢٣٢، بسنده صحيح

قِيَامُ اللَّيْلِ

مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ: قِيَامُ اللَّيْلِ؛ فَعَنْ أَيِّ ذَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُجْهِمُهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ؛ أَمَّا الَّذِينَ يُجْهِمُهُمُ اللَّهُ فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلُهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ، فَتَحَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرَّاً لَا يَعْلَمُ بِعَطِيهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَعْدِلُ نَزُلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتَلُوَا آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيرَةِ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُرِمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ، حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ الشَّيْخُ الرَّازِيُّ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ».^١

فضل قيام الليل:

قِيَامُ اللَّيْلِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ اجْهَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَهْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوْجْهٍ كَذَابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَئِمَّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».^٢

- ١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٣٥٥، والترمذى - أبواب صفة الجنّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ، حدیث رقم: ٢٥٦٨، والنسائي - کتاب الزکاة، ثواب من يعطي، حدیث رقم: ٢٥٧٠، والحاکم - کتاب الزکاة، حدیث رقم: ١٥٢٠، وابن حبان - النوع الثاني الفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن التبات في المخرب عند اهراق المسلمين مما يحبه الله، حدیث رقم: ٣٨٠، وابن خزيمة - کتاب الزکاة المختصر من المختصر من المسند على الشريطة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب ذكر حب الله عز وجل الممحفي بالصدق، حدیث رقم: ٢٤٥٦، بسنده صحيح
- ٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٧٨٤، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حدیث رقم: ٢٤٨٥، وابن ماجه - أبواب الأطعمة، باب إطعام الطعام حدیث رقم: ٣٢٥١، بسنده صحيح

قِيَامُ اللَّيْلِ يُرقِي بِصَاحِبِهِ إِلَى أَعْلَى درجاتِ الجَنَّةِ:

عَنْ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَمَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». ^١

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». ^٢

قِيَامُ اللَّيْلِ شَرْفُ الْمُؤْمِنِ:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فِي أَنْتَ مَيْتُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فِي أَنْتَ مَحْيٌّ بِهِ، وَأَحِبْ مَنْ شِئْتَ فِي أَنْتَ مُفَارِقٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرْفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعَزَّةَ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ». ^٣

قِيَامُ اللَّيْلِ دَأْبُ الصَّالِحِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجِعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. ^٤

١ - رواه الترمذى - أَبْوَابُ الْبَرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم: ١٩٨٤، والبزار في مسنده - حديث رقم: ٧٠٢، وأبو يعلى في مسنده - حديث رقم: ٤٢٨، بسند حسن

٢ - رواه البخارى - كِتَابُ بَدْءُ الْحَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَحْلُوقَةٌ، حديث رقم: ٣٢٥٦، ومسلم - كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ تَرَائِي أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ الْعُرْفِ كَمَا يُرَى الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ، حديث رقم: ٢٨٣١

٣ - رواه الطبرانى في الأوسط - حديث رقم: ٤٢٧٨، والحاكم في المستدرك - كِتَابُ الرِّيقَاقِ، حديث رقم: ٧٩٢١، والبيهقى في شعب الإيمان - باب في الزهد وقصر الأمل، حديث رقم: ١٠٥٤١، بسند حسن

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ الْلَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَيْ رَبِّكُمْ، وَمُكْفِرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ».^١

وَعَنِ ابْنِ الْمُسِيَّبِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: «وَمَرَرْتُ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَأَنْتَ تُحَافِثُ بِقِرَاءَتِكَ» قَالَ: إِنِّي أُسْمِعُ مَنْ أَنْجَيْتِي. قَالَ: «وَمَرَرْتُ بِكَ يَا عُمَرُ وَأَنْتَ تَجْهِرُ بِقِرَاءَتِكَ» قَالَ: اطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَأُوقِظُ الْوَسْنَانَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَخْفِضْ شَيْئًا» قَالَ: «وَمَرَرْتُ بِكَ يَا بِلَالُ وَأَنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ» قَالَ: إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْلَطُ الطِّيبِ بِالْطَّيْبِ، فَقَالَ: «اَقْرَأُ السُّورَةَ عَلَى نَحْوِهَا».^٢

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّمِيميِّ، قَالَ: قَالَ أَبِي: «لَا يُلْبَيَ اللَّيْلَةُ عَلَى الْمَقَامِ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ تَحَلَّصْتُ إِلَى الْمَقَامِ حَتَّى قُمْتُ فِيهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا رَجَلٌ وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتَفَيَّيَّ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: فَبَدَا بِأَمِ القُرْآنِ فَقَرَأَ حَتَّى خَتَمَ الْقُرْآنَ، فَرَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَخْدَأَ نَعْلَيْهِ، فَلَا أَدْرِي أَصَلَّى قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا أَمْ لَا».^٣

٤ - سورة الذاريات: الآية / ١٥ - ١٨

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ، والترمذني - أبواب الدعوات عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابٌ، حديث رقم: ٣٥٤٩، وابن خزيمة - كتاب الصلاة «المختصر من المسنن الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم على الشرط الذي اشتراطنا في كتاب الطهارة»، باب التحرير على قيام الليل إدْ هُوَ دَأْبُ الصالحين وَقُرْبَةٌ إِلَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، حديث رقم: ١١٣٥، والحاكم - من كتاب صلاة التطوع، حديث رقم: ١١٥٦ والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٤٦٦، بسنده حسن

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٦٥، وسعيد بن منصور في السنن - تفسير سورةبني إسرائيل، حديث رقم: ١٣٢٥ الرزاق في مصنفه - الأوَّلُ مِنْ كِتَابِ الصَّلَاةِ، بابُ قِرَاءَةِ الْلَّيْلِ، حديث رقم: ٤٣٤٠، بسنده ضعيف

٣ - رواه أبو نعيم في الحلية (١: ٥٧)

قِيَامُ اللَّيْلِ وصِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ يِثْلِ فُلَانٍ كَانَ يَقُولُمُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ». ^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصَهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ عُلَامًا شَابًا أَعْزَبَ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَانَ مَلَكِينَ أَخْدَانِي فَذَهَبَ إِلَيَّ النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةً كَطَيِّ الْبَغْرِ، وَإِذَا هَا قَرْنَانِ كَفَرْيَ الْبَغْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكُ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ فَقَصَّصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّصْتُهَا حَفْصَةَ عَلَى النَّارِ، فَعَنِيَ الْمَكْتُوبَةُ مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ فَقَصَّصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّصْتُهَا حَفْصَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: «فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا». ^٢

قِيَامُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ». ^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حفلاً، أو لم يفطر العيدان والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، حديث رقم: ١١٥٩

٢ - رواه البخاري - باب التهجد بالليل وقوله عز وجل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَنَهَجْدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، باب فضل قيام الليل، حديث رقم: ١١٢١، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم: ٢٤٧٩

٣ - رواه مسلم - كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، حديث رقم: ١١٦٣

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ الْلَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَثُ، وَبِكَ حَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَحَرَّتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». ^١

قِيَامُ الْلَّيْلِ يَجْعَلُ الْعَبْدَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ عَمْرُو بْنِ عَبْسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ الْلَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ». ^٢

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفُ الْلَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ». ^٣

قِيَامُ الْلَّيْلِ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ:

عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَخَنُّ تَسِيرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ

١ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة * إلى رحمة ناظرة»، حدث رقم: ٧٤٤٢، ومسلم - باب صلاة المسافيين وعصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حدث رقم: ٧٦٩

٢ - رواه الترمذى - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حدث رقم: ٣٤٩٩، بسنده صحيح

٣ - رواه الترمذى - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حدث رقم: ٣٤٩٩، بسنده حسن

بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحْجُجُ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدْلُكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَاحٌ، وَالصَّدَقَةُ ثُطْفَى الْحَطِيشَةَ كَمَا يُطْفَى الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ الْلَّيْلِ قَالَ: ثُمَّ تَلَّا: ﴿تَعْجَافَ جُنُوبُكُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُحْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُحْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَحَدَ بِلْسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَيْنَكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلْتَكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَارِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ الْسِتَّةِ».^١

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٠١٦، الترمذى - أبواب الإعانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم: ٢٦١٦، وقال هذا حديث حسن صحيح

وسائلٌ معينةٌ على قيام الليل:

أن يسأل المسلم ربه سبحانه وتعالى الإعانة على قيام الليل:

فَعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بَيْدَهُ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا حِبْكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا حِبْكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعُنَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». ^١

فإنه لا يوفق لقيام الليل إلا من وفقه الله تعالى، ولا يقوى على قيام الليل إلا من أعاذه الله تعالى، فإن قيام الليل لا يحتاج إلى قوة بدنية إنما يحتاج إلى توفيق الله تعالى، وإيمانٍ يحمل صاحبه على ترك شهواته، والتخلص من ملذاته، واستشعار قربه، والتلذذ بمناجاة الله تعالى، ليشكوا له بشه، وحزنه، ويسائله من فضله وإحسانه.

أن يستحضر فضل قيام الليل:

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما: «نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». ^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢١١٩، وأبو داود - كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حدث رقم: ١٥٢٢، والترمذى - حديث رقم: ، والنسائي - كتاب السنّة، باب الدّعاء بعد الذّكّر، حدث رقم: ١٣٠٣، وابن خزيمة في صحيحه - حدث رقم: ٧٥١، وابن حبان - كتاب الصلاة، فصل في الفتوت، ذكر الاستحباب للمرء أن يستعين بالله جل وعلا على ذكره وشكراً وحسن عبادته عقيب الصلوات المفروضات، حدث رقم: ٢٠٢٠، والطبراني في الكبير - حدث رقم: ١١٠، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - باب التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ تَأْفِلَةً لَكَ﴾، باب فضل قيام الليل، حدث رقم: ١١٢١، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، حديث رقم: ٢٤٧٩

وقد ذكرت فيما تقدم جملة من فضائل قيام الليل التي لا ينبغي لمسلم أن يسمعها إلا ويبارد إلى تحقيقها والغور بها.

العلم بأن قيام الليل شرف للمؤمن:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَغْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرْفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعَزَّةُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».^١

والعلة في كون قيام الليل شرف المؤمن أن المؤمن يقوم بين يدي الله تعالى يقرأ كلامه، ويناجيه، ولا يوفق لذلك إلا من اصطفاه الله تعالى، فكم من الناس محروم من قيام الليل وهو لا يشعر، لا يشعر أنه لم يؤذن له بالمشول بين يدي مولاه وقد أذن لغيره، وقد استبعد من الخدمة وقرب غيره، فياليت شعرى بأبي خسرانباء، وبأبي خيبة رجع!
 فاللهـم بعـتك وذـنا، وبغـناك عـنا وفـرقـنا إـليـكـ، وبـقدرـتك عـلـيـنـا وـضـعـفـنـا، اـسـعـمـلـنـا وـلا تـسـبـدـلـنـا، وـارـحـمـ ضـعـفـنـا، وـتـقـبـلـ منـا القـلـيلـ، وـلا تـرـدـنـا عـنـ بـابـكـ خـائـبـينـ.

ترك الذنوب والمعاصي:

فإن الذنوب والمعاصي من أهم أسباب الخذلان، ومن أهم أسباب التنبيط عن طاعة الله تعالى؛ قيل لعبد الله بن المبارك: مالنا لا نستطيع قيام الليل؟
 قال: أقعدتكم الذنوب والمعاصي.

الذنوب والمعاصي من أسباب استزلال الشيطان لأصحاب الذنوب والمعاصي؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلُّوْ مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرْهَمُ الشَّيْطَانُ يَعْضِي مَا

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٤٢٧٨، والحاكم في المستدرك - كتاب الرائق، حديث رقم: ٧٩٢١ والبيهقي في شعب الإيمان - باب في الزهد وقصر الأمل، حديث رقم: ١٠٥٤١، بسنده حسن

كَسَبُوا﴿ [آل عمران: ١٥٥]؛ أي: ذَكَرُهُم بِخَطايا سَلْفَتْ مِنْهُمْ، وَهُكُذا يَفْعُلُ مَعَ كُلِّ عَاصٍ، حَتَّى يَقْنَطَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَشْعُرُهُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا رَجَاءَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ مِنْهُمْ عَمَلٌ فَلَنْ يَقْبِلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذَنْبَهُ، فَيَقْطَعُ رَجَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْيَأسُ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي تِرْكِ الطَّاعَةِ، وَرِبِّاً بَالِغَ فِي مَعَاوَرَةِ الشَّهَوَاتِ، وَالْإِسْرَافِ فِي الذَّنَوبِ وَالْمَعَاصِي﴾.

فَالواجبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبَدِّرَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ حَسْنَ ظَنِّهِ بِمَوْلَاهُ؛ لِيَنْجُو مِنْ مَكَابِدِ الشَّيْطَانِ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ الذَّنَوبَ جَمِيعًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فُلْ يا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَفْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وَاللَّهُ تَعَالَى يَفْرُجُ بَتْوَيَّهُ عَبْدَهُ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعْهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتُهُ بِالْفَلَّاَةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَرِّاً تَقَرَّبَتِي إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتِي إِلَيْهِ باعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ».^١

١ - رواه البخاري -كتاب الدعوات، باب التوبة، حدث رقم: ٦٣٠٨، ومسلم -كتاب التوبة، باب: في الحضى على التوبة والفرح بها حديث رقم: ٢٦٧٥

متابعةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن أسباب محبة الله تعالى للعباد، متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثره في كل حركة وسنة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾

رَحِيمٌ ۝ ۱.

آثار تحقيق متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب محبة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ...﴾ الآية. ۲

قال عباد بن منصور: سأله الحسن عن قوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: نعم إن أقواماً كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله، فراراً لأن يجعل لقولهم تصديقاً من عملٍ فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال: اتبع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقولهم. ۳

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب رحمة الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْثِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يَجْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ...﴾ الآية. ۴

١ - سورة آل عمران: الآية/ ۳۱

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ۳۱

٣ - رواه ابن أبي حاتم - رقم: ۳۴۰۲

٤ - سورة الأعراف: الآية/ ۱۵۶ ، ۱۵۷

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب المغفرة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ دُنُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾^{١.}

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب هداية الله للعباد:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحِبِّي وَيُعِبِّدُ فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعَهُ أَعْلَمُكُمْ هَمَتُوْنَ﴾^{٢.}

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب الشرب من حوضه يوم القيمة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا حِقُولَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْرَانَنَا، قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْرَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَاحِي، وَإِخْرَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوْنَا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أَمْتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ حَيْلٌ غُرْ مُحَجَّلَةَ بَيْنَ ظَهَرِيْنَ حَيْلٌ دُهْنِيْنَ أَلَا يَعْرِفُ حَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُوْنَ عُرَّ مُحَجَّلِيْنَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطْهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُ، أَنَادِيْهُمْ: أَلَا هَلْمَ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا».^{٣.}

١ - سورة آل عمران: الآية / ٣١

٢ - سورة الأعراف: الآية / ١٥٨

٣ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم: ٢٤٩

من صور متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

من المتابعة التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قول و فعل:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ .^١

قال محمد بن علي الترمذى: الأسوة في الرسول الافتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل.^٢

وقال النووي: قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: سنة صالحة، أن تتصرون وتوازروه، ولا تختلفوا عنه، ولا ترغبو بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو، إذ كسرت رباعيته وجرح، وقتل عممه حمزة، وأوذى بضروب الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضا كذلك، واستنروا بسنته.^٣

وقال سفيان الثورى: «إِنْ اسْتَطَعْتَ، أَلَا تَحْكُمَ رَأْسَكَ إِلَّا بِأَثْرٍ فَافْعُلْ».^٤

من المتابعة العمل بسنته صلى الله عليه وسلم:

وعن أبي رافع، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا أَفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكَبِّلاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مَمَّا أَمْرَتُ بِهِ أَوْ هَيَّثُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ».^٥

١ - سورة الأحزاب: الآية: ٢١

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٩ / ٢)

٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب (١٧ / ١٨٥)

٤ - الجامع لأخلاق الرواية وآداب السامع للخطيب البغدادي (١١ / ١٤٢)

٥ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٨٧٦، وأبو داود - كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، حديث رقم: ٤٦٠٥، والترمذى - أبواب العلّم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما ثُبٰي عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «اَتَّبَعُوا وَلَا تَبَتَّدَعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالٌ». ^١

من المتابعة تحكيمه صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِمَّا قَضَيْتَ وَإِسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾. ^٢

لا يتحقق إيمان عبد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يشترج فيه مع غيره، ويرضى بحكمه صلى الله عليه وسلم، ولا يجد في نفسه حرجاً من حكمه صلى الله عليه وسلم، ويسلم لحكمه تسليماً؛ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما آنه حدثه: أن رجلاً من الأنصار، حاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة، التي يسقون بها النحل، فقال الأنصاري: سرخ الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: (أسقي يا زبير، ثم أرسلي الماء إلى جارك). فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلئون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: (اسقي يا زبير، ثم احسن الماء حتى يرجع إلى الجدر). فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. ^٣

المتابعة هي الشرط الثاني من شروط قبول الأعمال بعد الإخلاص.

رقم: ٢٦٦٣ ، وابن ماجه- المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتغليظ على من عارضه، حديث رقم: ١٣ ، بسنده صحيح

١ - رواه الدارمي- المقدمة، باب في كراهة أخذ الرأي، حديث رقم: ٢١١ ، وشهير بن حرب في كتاب العلم- حديث رقم: ٥٤ ، والموزي في السنة- حديث رقم: ٧٨ ، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٨٧٧٠ ، بسنده صحيح
٢ - سورة النساء: الآية ٦٥
٣ - رواه البخاري- كتاب المسافة، باب: سُكُرُ الْأَنْهَارِ، حديث رقم: ٢٣٦٠ ، ومسلم- كتاب الفضائل، باب وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٣٥٧

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله:

**** شَرْطُ قَبْولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا
 فيِهِ إِصَابَةٌ وَإِحْلَاصٌ مَعًا **** لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ لَا سِوَاهُ
 مُوَافِقُ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ
 قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
 وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ .^١

صور من متابعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:

عنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةً رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَائِنَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصْلِي الَّلَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَرْوَجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْشَأُكُمْ لِلَّهِ وَأَتَعَاكُمْ لَهُ، لَكُمْ أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَرْوَجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مِنِّي».^٢

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة عثمان بن مظعون، واسمها حولة بنت حكيم على عائشة وهي بذلة الهيئة، فسألتها عائشة: ما شأنك؟، فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له فلقي النبي صلى الله عليه

١ - سورة الأحزاب: الآية / ٢١

٢ - رواه البخاري - كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى ﴿فَانْكِحُوهُمَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ الآية [النساء: ٣] ، حديث رقم: ٥٠٦٣

وَسَلَّمَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَّا لَكَ فِي أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ قَوْلَهُ إِنِّي لَا حَشَائِكُمْ لِلَّهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِجَهْدِكُمْ».^١

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».^٢

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَقَالَ سَعِيدٌ: فَلَمَّا حَشِيتُ الصُّبْحَ نَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، ثُمَّ لَحْقْتُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: حَشِيتُ الصُّبْحَ، فَنَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَقُلْتُ: بَلَى وَاللَّهُ، قَالَ: «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ».^٣

وَعَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَاحِبُتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، قَالَ: فَصَلَّى لَنَا الظَّهَرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَأَقْبَلْنَا مَعَهُ، حَتَّى جَاءَ رَحْلَهُ، وَجَلَسَ وَجَلَسْنَا مَعَهُ، فَحَانَتْ مِنْهُ النِّفَافَةُ تَحْوِي حَيْثُ صَلَّى، فَرَأَى نَاسًا قِيَاماً، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هُؤُلَاءِ؟» قُلْتُ: يُسَيِّخُونَ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُسَيِّخًا لَأَمْمَتُ صَلَاتِي، يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي صَاحِبُتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَصَاحِبُتُ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَصَاحِبُتُ عُمَرَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، ثُمَّ صَاحِبُتُ

١ - رواه ابن حبان في صحيحه- النوع السادس والستون، إخباره صلى الله عليه وسلم في البداية عن كيفية أشياء احتاج المسلمين إلى معرفتها، ذكر الإخبار عمما يحب على المرء من لزوم هدي المصطفى بترك الإنزعاج عمما أياخ من هذه الدنيا له بإغضائه، حديث رقم: ٤٦٥٨، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٨٣١٩

٢ - رواه البخاري- كتاب الحجج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، حديث رقم: ١٥٩٧، ومسلم- كتاب الحجج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، حديث رقم: ١٢٧٠

٣ - رواه البخاري- كتاب الوتر، باب الوتر على الدابة، حديث رقم: ٩٩٩، ومسلم- باب صلاة المسافرين وقصدهما، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت، حديث رقم: ٧٠٠

عُثْمَانَ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ» وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: طُفْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا كُنْتُ عِنْدَ الرَّجْنِ الَّذِي يَلِي الْبَابَ إِمَّا يَلِي الْحَجَرَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِيَسْتَلِمَ، فَقَالَ: أَمَا طُفْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتُهُ يَسْتَلِمُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَانْفَدْ عَنْكَ فَإِنَّكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبِيرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَنَاخَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ بَيْنَ دَارِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَيٍّ وَدارِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ، فَأَتَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَنْزِلُ، فَانْبَعَثْتُ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ»، ثُمَّ حَرَجَتْ بِهِ، حَتَّى جَاءَتْ بِهِ مَوْضِعَ الْمِنْبَرِ، فَاسْتَنَاخَتْ بِهِ، ثُمَّ بَحْلَجَلَتْ، وَلِنَاسٍ ثُمَّ عَرِيشُ كَانُوا يَرْشُونَهُ وَيَعْمَرُونَهُ وَيَبَرُّوكُونَ فِيهِ، حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَوَى إِلَى الظِّلِّ، فَنَزَلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ أَبُو أَيُوبَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْزِلِي أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ إِلَيْكَ، فَانْفَلَ رَحْلَكَ إِلَيْهِ، قَالَ «نَعَمْ»، فَذَهَبَ بِرَاحِلَتِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَتَاهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْزِلْ عَلَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحِيلِهِ حَيْثُ كَانَ» وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ اثْنَا عَشَرَ لَيْلَةً حَتَّى بَنَى الْمَسْجِدَ.٣

وَعَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ حَلَفٍ قَالَ: قَدِيمُ الْمَدِينَةِ وَأَنَا شَابٌ مُتَأْزِرٌ بِرُدْدَةٍ لِي مُلْحَاءَ أَجْرُهَا، فَأَدْرَكَنِي رَجُلٌ فَعَمَرَنِي بِحُصْرَةٍ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا لَوْ رَفِعْتَ ثُوبَكَ كَانَ أَبْقَى وَأَنْقَى»، فَالْتَّفَتْ، فَإِذَا هُوَ

١ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، حدیث رقم: ٦٨٩

٢ - رواه أحمد - حدیث رقم: ٢٥٣، بسنده صحيح

٣ - رواه سعيد بن منصور - كتاب الحجاء، باب جامع الشهادة، حدیث رقم: ٢٩٧٨، والطبراني في الأوسط - حدیث

رقم: ٣٥٤٤، بسنده حسن

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةُ مَلْحَاءٍ، قَالَ: "وَإِنْ كَانَتْ بُرْدَةً مَلْحَاءً، أَمَّا لَكَ فِي أَسْوَةٍ". فَنَظَرَتُ إِلَى إِزَارِهِ فَإِذَا فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ، وَنَحْنَتِ الْعَضَلَةِ».^١

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٠٨٧ ، وفي سنده ضعف

التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ

من أسباب محبة الله تعالى التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حُولِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِهِمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^١.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكِّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرِزِّقُ الطَّيْرُ تَعْدُو خَمَاصًا وَتَرُوْحُ بَطَانًا».^٢

فضل تحقيق التوكيل على الله تعالى:

التوكيل على الله من أسباب دخول الجنة:

قال الإمام مسلم: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَحْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدٍ بْنِ جُبَيرٍ فَقَالَ أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْفَضَ الْبَارِحةَ قُلْتُ أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِي لُدِغْتُ. قَالَ فَمَاذَا صَنَعْتَ قُلْتُ اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثَنَا الشَّعَيْفُ. فَقَالَ وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعَيْفُ قُلْتُ حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْنِ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَا رُؤْفِيَّةٌ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ. فَقَالَ قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انتَهَى إِلَى مَا سَعَى وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأَمْمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهْيَطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفْقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأُفْقِ الْآخِرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتِكَ

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٥٩

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٠٥، والترمذى - أَبْوَابُ الرُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ التَّوْكِلِ عَلَى اللَّهِ، حديث رقم: ٢٣٤٤، وابن ماجه - كِتَابُ الرُّهْدِ، بَابُ التَّوْكِلِ وَالْيَقِينِ، حديث رقم: ٤٦٤، بسنده صحيح

وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِعَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ هَضَرَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِعَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعْلَهُمُ الَّذِينَ صَرِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعْلَهُمُ الَّذِينَ وُلِّدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَيْنِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَحْوُضُونَ فِيهِ». فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْفُونَ وَلَا يَسْتَرْفُونَ وَعَلَى رِءُومِ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْمَضٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ».^١

التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ دليل الإيمان:

فَالَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .^٢

فَالَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .^٣

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .^٤

فَالَّهُ تَعَالَى : «الْتَّوْكِلُ جَمَاعُ الْإِيمَانِ».

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طائف من المسلمين الجنَّةَ بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم:

٢٢٠

٢ - سورة المائدة: الآية / ٢٣

٣ - سورة آل عمران: الآية / ١٢٢

٤ - سورة الأنفال: الآية / ٤٩

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَاهُ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمُرِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^{١.}

الْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ لَا يَنْافِي الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أَطْلُفُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «أَعْقِلُهَا وَتَوَكَّلْ»^{٢.}

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَجْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾".

[البقرة: ١٩٧]^{٣.}

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَالْهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ، وَفَالْهَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاحْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا﴾، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» [آل عمران: ١٧٣]^{٤.}

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيَتَ،

١ - سورة الطلاق: الآية /٢

٢ - رواه الترمذى - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَاقِ وَالْوَعْنَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١٧،
بسند حسن

٣ - رواه البخارى - كِتَابُ الْحُجَّةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، حديث رقم: ١٥٢٣

٤ - رواه البخارى - كِتَابُ التَّفَسِيرِ، بَابُ ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ...﴾ الآية، حديث رقم: ٤٥٦٣

وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخْرُ: كَيْفَ لَكَ بِرْجُلٌ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»^١.

فَالإِمَامُ أَحْمَدُ: التَّوْكِلُ عَمَلُ الْقُلْبِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ. لَيْسَ يَقُولُ اللِّسَانُ، وَلَا عَمَلِ الْجَوَارِحِ، وَلَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكَاتِ.

فَكُلُّ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ أَعْلَمُ وَأَعْرَفُ كَانَ تَوْكِلُهُ أَصَحُّ وَأَقْوَى.

فَالْتَّوْكِلُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، وَيَنْدِفعُ بِهَا الْمَكْرُوهُ. فَمَنْ أَنْكَرَ الْأَسْبَابَ لَمْ يَسْتَقِمْ مِنْهُ التَّوْكِلُ. وَلَكِنَّ مِنْ تَمَامِ التَّوْكِلِ عَدَمُ الرُّجُونِ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَقَطْعُ عَالَقَةِ الْقُلْبِ بِهَا؛ فَيَكُونُ حَالُ قُلْبِهِ قِيَامَةُ بِاللَّهِ لَا بِهَا. وَحَالُ بَدْنِهِ قِيَامَةُ بِهَا.

فَالْأَسْبَابُ مَحَلُ حِكْمَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَدِينِهِ. وَالْتَّوْكِلُ مُتَعَلِّقٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَقَضَائِيهِ وَقَدْرِهِ. فَلَا تَقُومُ عُبُودِيَّةُ الْأَسْبَابِ إِلَّا عَلَى سَاقِ التَّوْكِلِ. وَلَا يَقُومُ سَاقُ التَّوْكِلِ إِلَّا عَلَى قَدَمِ الْعُبُودِيَّةِ. فَعَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظِنْكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ. يَكُونُ تَوْكِلُكَ عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ فَسَرَ بَعْضُهُمُ التَّوْكِلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

وَالْتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يُهْدِي إِلَى التَّوْكِلِ عَلَيْهِ. إِذَا لَا يُتَصَوَّرُ التَّوْكِلُ عَلَى مَنْ سَاءَ ظِنْكُ بِهِ، وَلَا التَّوْكِلُ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ.

فَاللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَالَ عَنْ أُولَائِهِ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوْكِلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النَّمَل: ٧٩]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

١ - رواه أبو داود - أبواب النّوّم، بابُ مَا يَقُولُ إِذَا حَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، حديث رقم: ٥٠٩٥، بسنده صحيح

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿النساء: ٨١﴾، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّخْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ لَهُ: ﴿فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ عَنْ أَنْبِيائِهِ وَرُسُلِهِ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَا نَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا شِبْلَنَا﴾ [إِبراهيم: ١٢]، وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيل﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.^١

١ - سورة الأنفال: الآية / ٢

الْحَيَاةُ

من أسباب محبة الله تعالى الحباء: عن أشج بن عاصٍ رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فيك حلتين يحبهما الله عز وجل». قلت ما هما قال: «الحلم والحياة». قلت أقديماً كان في أم حديثاً قال «بان قدِيمًا». قلت الحمد لله الذي جباني على حلتين يحبهما.^١

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يحب الحياة ويحب المتصفين بصفة الحياة، ولم لا؟ والحياة صفة الله تعالى، وصفة الملائكة الأبرار، وصفة الصفوة من الصالحين.

تعريف الحياة:

قال ابن دقيق العيد: الحياة لغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان لخوف ما يعاب أو يعاتب عليه.

وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويعن من التفريط في حق صاحب الحق.

منزلة الحياة في الإسلام:

الحياة من الإيمان:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعطى أحاه في الحياة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه فإنه الحياة من الإيمان».^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٧٥٥، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحلم، حدث رقم: ٤١٨٦، والبخاري في الأدب المفرد - باب التؤدة في الأمور، حدث رقم: ٥٨٤، وأبو داود - أبواب النوم، باب في قبة الرجل، حدث رقم: ٥٢٢٥، بلفظ: «الحلم والأناة»، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحياة، حدث رقم: ٦١١٨

بل أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالْحَيَاةِ تَلَازِمٌ لَا يَنْفَكُ وَصْلَةٌ وَثِيقَةٌ.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاةُ وَالإِيمَانُ مَقْرُونَانِ لَا يَنْتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيعًا».^١

الْحَيَاةُ مِنْ صَفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَنِيفٌ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا حَائِبَتِينِ».^٢

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَنِيفٌ سِتَّيرٌ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَغْتَسِلَ فَلْيَتَوَارِي بِشَيْءٍ».^٣

الْحَيَاةُ مِنْ صَفَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ:

أَخْبَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحَيَاةَ مِنْ جُمِلةِ صَفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي تَتَصَدِّفُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقِيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذِيلَكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانَ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا حَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٤٤٧١، والصغير - حديث رقم: ٦٢٢

٢ - رواه أبو داود - باب تَفْرِيغِ أَبْوَابِ الْوَتْرِ، باب الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٤٨٨، والترمذمي - أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ٣٥٥٦، وابن ماجه - كِتَابُ الدُّعَاءِ، باب رفع اليَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٦٥، بسنَدٍ صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٩٧٠، وأبو داود - كِتَابُ الْحَمَامِ، باب النَّهَيِّ عَنِ التَّعْرِيِّ، حديث رقم: ٤٠١٢، والنَّسَائيُّ - الْعُسْلَى وَالْتَّيْمُمُ، باب: الْإِسْتِئْرَارُ عِنْدَ الْأَغْتِسَابِ، حديث رقم: ٤٠٦، بسنَدٍ حسن

بَكْرٌ فَلَمْ يَكُنْتِ شَرِيكًا لَهُ وَلَمْ يُتَبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمُرٌ فَلَمْ يَكُنْتِ شَرِيكًا لَهُ وَلَمْ يُتَبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَستَ وَسَوَّيْتَ ثِيابَكَ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».^١

الحياء خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سِتِّينًا، لَا يُرَى مِنْ جَلْدِهِ شَيْءٌ، اسْتِحْيَاهُ مِنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْنِ بَنِيهِ، إِمَّا بِرَصْدٍ وَإِمَّا أَدْرَةً وَإِمَّا آفَةً. وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَحَالَ يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِتَوْبَةِهِ، فَأَخْذَهُ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ ثُوِيْ حَجَرُ، ثُوِيْ حَجَرُ، حَيَّ انْتَهَى إِلَى مَلِلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا حَلَقَ اللَّهُ ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخْذَ ثُوبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفَقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ حَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.^٢

الحياء من شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحُدَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرَهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ».^٣

١ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: مِنْ فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٤٠١

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب، حديث رقم: ٣٤٠٤

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب: مِنْ مَمْ يُوَاجِهُ النَّاسُ بِالْعِتَابِ، حديث رقم: ٦١٠٢، ومسلم - كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٣٢٠

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَّا لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ». ^١

الحياءُ خلقُ الْإِسْلَامِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ حُلُمًا وَحُلُقًُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ». ^٢

قال المناوي: أي: طبع هذا الدين وسجيته التي بها قوامه ونظامه: الحياء؛ لأن الإسلام أشرف الأديان، والحياء أشرف الأخلاق، فاعطى الأشرف للأشرف. ^٣

الحياءُ هو الدِّينُ كُلُّهُ:

عَنْ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذُكِرَ عِنْدُهُ الْحَيَاءُ، فَقَالُوا: الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ. فَقَالَ إِيَاسُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قُرَّةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذُكِرَ عِنْدُهُ الْحَيَاءُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعَيَّ عَيَّ الْلِسَانِ لَا عَيَّ الْقُلُبُ وَالْعَمَلُ مِنَ الإِيمَانِ وَإِنَّهُ يَرِدُنَّ فِي الْآخِرَةِ وَيَنْفَضُّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا يَرِدُنَّ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ مِمَّا يَرِدُنَّ فِي الدُّنْيَا». قَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَأَمَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَأَمْلِئْهَا عَلَيْهِ ثُمَّ كَتِبَهَا بِخَطِّهِ ثُمَّ صَلَّى بِنَاهُ الظُّهُرَ وَالْعَصْرَ وَإِنَّهُ لَفِي كُمِّهِ مَا وَضَعَهَا إِعْجَابًا إِلَيْهَا.

١ - رواه الدارمي - بابُ في سخاءِ التَّبَّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٧٢، وفي سنته ضعف

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الرهد، بابُ الْحَيَاءِ، حديث رقم: ٤١٧٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ١٧٧٩، وممالك في الموطأ - كتاب حسن الخلق بابُ مَا جاءَ فِي الْحَيَاءِ - حديث رقم: ١٦٢٨

٣ - التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوي (٦٨٩ / ١)

٤ - رواه البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقاً بها، حديث رقم: ١٩٣٥٨، ورواه في شعب الإيمان - حديث رقم: ٧٤٣٣، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٥٨١٤، بسنده صحيح

ولا شك أن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ» يدل على عظيم منزلة الحياة، وسمو مكانته، فكانه ركن الدين الأعظم.

قال المناوي: (لأن مبدأه ومتناهه يفضيان إلى ترك القبيح، وترك القبيح خير لا محالة، فكان لا يأتي إلا بخير؛ ولأن من استحيا من الخلق قل شره، وكثر خيره، وغلب عليه السخاء والسامح، الموصلان إلى ديار الأفراح، وأشفق أن يرى أحد في دينه خللاً، أو في عمله زللاً فمِنْ ثُمَّ كان فيه كمال الدين لمصير من هو شعاره من المتقين).^١

الحياة زينة كل شيء:

عَنْ أَنَّسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحُسْنَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ».^٢

إن أجمل ما يتزين به الإنسان اتصافه بالحياة، فزينة الثياب وزينة الحلي وغيرها، لا تساوى شيئاً بجانب التزين بالحياة والتحلّق بها، لاسيما الحياة للمرأة، فإنها له ألم، وعليه أحراص، وقلته عند المرأة أقبح منه عند الرجل؛ لذلك يجب عليها في تمسكها بالحياة أضعاف ما يجب على الرجل.

الحياة شريعة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

الحياة من جملة شرائع الأنبياء، ومن عظيم وصاياتهم، حتى تمسك به الناس في زمن الفترة وانقطاع الوحي ودروس العلم، وذلك لعظيم منزلته، وارتفاع مكانته في سائر الشرائع؛ فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَمَّا أَذْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا مَمَّ تَسْتَحِ فَافْعُلْ مَا شِئْتَ».^٣

١ - فيض القدير (٤٢٧ / ٣)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٦٨٩، والترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الفحش والتفحش، حديث رقم: ١٩٧٤، ابن ماجه - كتاب الرهد، باب الحياة، حديث رقم: ٤١٨٥

٣ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٨٣

الحياء رأس مكارم الأخلاق:

كان مكارم الأخلاق في الجاهلية منزلةً ساميةً، ودرجةً عاليةً رفيعةً افتخر بها الشعراء، ومدحوا بها السادة والأشراف، وعلى رأس هذه المكارم: الحياء، فلما جاء الإسلام زاد هذا المعنى تأكيداً، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "الحياء رأس مكارم الأخلاق".

وقال عنترة يفتخر بالحياة:

لئن أكأسوًدا فالمشك لوني

 وما لسود جلدي من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عني

 كبعد الأرض عن جو السماء

الحياء سمة الصالحين:

عن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: قال أبو بكر الصديق وهو يخطب الناس: "يا معاشر المسلمين، استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغايات في الفضاء متنقلاً بشوبي استحياءً من الله عز وجل".^١

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَنْ أَرَوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعُلُهُ».^٢

وعن الحسن، أنه ذكر عثمان وشدة حيائه، فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه معلق، فما يضع عنه التوب ليفيض عليه الماء، يمنع الحياة أن يقيم صلبته.^٣

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - الحياء، حديث رقم: ٧٣٣٧

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٦٢٣، الترمذى - أبواب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب الاستنجاء بالماء، حدث رقم: ١٩، والناسى - كتاب الطهارة، الاستنجاء بالماء، حدث رقم: ٤٦، بسند صحيح.

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٥٤٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥٦ / ١)، بسند رجاله ثقات.

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إني لأدخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فاحني فيه صلبي حياءً من ربِّي.

وَمِنْ حَيَاءِ الصَّحَابَةِ كَذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عَبْدَ اللَّهِ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَلْمِ. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَايِيْكَ». فَقَالَتْ أَصْبِرُ. فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَاهَا.

الحياةُ خيرٌ لباسٍ:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْرَنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًاً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًاً وَلِيَاٌسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ حَيْثُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾.

قال الحسن: ﴿لِيَا سُ الْتَّقْوَى﴾: الحياة.

الحياة كله خير ولا يأتي إلا بخير:

عن عمرانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاةُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِحَكْمَةٍ». فَقَالَ بُشَيْرٌ بْنُ كَعْبٍ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ إِنَّ مِنَ الْحَيَاةِ وَقَارًا، وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةً. فَقَالَ لَهُ عِمَرَانُ أَحَدِنِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَنِي عَنْ صَحِيفَتِكَ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رَهْطٍ مِنَ وَفِينَا بُشَيْرٌ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاةُ حَيْرٌ كُلُّهُ». قَالَ أَوْ قَالَ «الْحَيَاةُ كُلُّهُ حَيْرٌ». فَقَالَ بُشَيْرٌ بْنُ كَعْبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ كُلُّهُ».

١ - رواه البخاري - كتاب الطهارة، باب فضل من يصرع من الريح، حديث رقم: ٥٦٥٢، ومسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوككة يشاكها، حديث رقم: ٢٥٧٦

٢ - سورة الأعراف: الآية / ٢٦

^٣ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب الحباء، حديث رقم: ٥٧٧٢، ومسلم- كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان،

الْحِكْمَةُ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ فَعَضِيبُ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ وَقَالَ أَلَا أُرَأِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُعَارِضُ فِيهِ. قَالَ فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ قَالَ فَأَعَادَ بُشَيْرٌ فَعَضِيبُ عِمْرَانُ قَالَ فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا بُشَيْرٍ إِنَّهُ لَا يَأْسَ بِهِ.^١

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم: ٧٩

كيف نحقق الحياة في حياتنا؟

تكلف الحياة و معناه أن يتصنع الإنسان الحياة ويتطبع به حتى يصير له سجية وطبعا:

عن أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعْلِيمِ، وَإِنَّمَا الْحَلْمُ بِالْتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ الشَّرُّ يُؤْكَدُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنْ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمُ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَفْسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطَيِّرُ" ١.

حفظ الجوارح من الحرام وهو من أعظم الأسباب الجالبة للحياة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ». قال قلنا يا رسول الله إنا لنستحي والحمد لله. قال: «لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاةَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَتَتَدَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلْى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ» ٢.

ترك الفحش من الكلام فإنه علامه قلة الحياة:

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الفحش في مقابلة الإيمان، وجعله في مقابلة الحياة، إذا وجد أحدهما انتفى الآخر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ» ٣.

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٧٦٣، ورواه في الأوسط حديث رقم: ٢٧١٦، وقال الألباني حسن لغيره انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤٢، وقال الألباني حسن لغيره انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤٢

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٥٦٥، والحاكم - كتاب الرقاق، حديث رقم: ٧٩٩٠، والترمذني - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حدث رقم: ٢٤٤٠، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٠٩٤، بسنده حسن

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٩٤٨، الترمذني - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في اللعن، حديث رقم: ١٩٧٧، والبخاري في الأدب المفرد - باب ليس المؤمن بالطعان، حديث رقم: ٣١٢، بسنده صحيح

وَعَنِ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ». ^١

تعلم هدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعته والتخلق بأخلاقه:

فإذا فعل ذلك اكتسب الحياة لا محالة، فإنه من أظهر أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال القائل:

فتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ * * * * * إِنْ تَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ فَلَا حَاجَةٌ

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان مستينا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

مجالسة الصالحين، ومخالطة الأتقياء:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيلِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُخْدِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا حَبِيشَةً». ^٢

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «لَوْ أَنَّ الْمُسْلِمَ، لَمْ يُصِبْ مِنْ أَخِيهِ، إِلَّا أَنَّ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنْ الْمَعَاصِي». ^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٤٦٥، والترمذى - كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتغطية، حديث رقم:

٧٤٤٤، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحياة - حديث رقم: ٤١٨٣، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم:

٢ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب في العطاء وبيان الميت، حديث رقم: ٢١٠١، ومسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومحاباة فرناء السوء، حديث رقم: ٢٦٢٨

٣ - رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق - باب ذكر الحياة وما جاء فيه، حديث رقم: ٩٦

اعتزال السفلة ورعاية الناس وتجنب مخالطة الفساق:

فإنهم لا يتورعون عن قبيح ولا يستحيون من قول ولا فعل وإن كان محظياً ومخالطة هؤلاء وأمثالهم وعدم اعزاز البيئة الفاسدة من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتزاع الحياة من العبد فإن المرأة يؤثر بين يخالط بدرجة كبيرة جداً وقد لا يشعر بذلك.

قال طرفة بن العبد:

عن المرأة لا تسل وسل عن قرينه * * * * * فكل قرين بالمقارن يقتدي

بل إن الأخلاق الفاسدة وعلى رأسها قلة الحياة أسرع عدوى من الجرب كما قال القائل:

وعدوى البليد إلى الجليد سريعة * * * * * والنار توضع في الرماد فتخمد

استحضار نعم الله تعالى على العبد واستشعار التقصير في أداء شكرها:

قال الجنيد: الحياة رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياة.

وقيل:

هب البعث لم تأتنا رسلاه * * * * * وجامدة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق * * * * * حياء العباد من المنعم

استشعار معية الله تعالى:

من الأسباب المعينة على اكتساب الحياة استحضار قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا نَوَّتْ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». ^١

١ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم: ٥٠، ومسلم - كتاب الإيمان، حديث رقم: ١

فاستشعار معية الله تعالى من أعظم الأسباب الجالبة للحياة وكان الإمام أحمد رحمه الله يكثر ذكر هذين البيتين:

**** خلوت ولكن قل على رقيب إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ****

**** ولا أن ما تخفيه عنه يغيب ولا تحسن الله يغفل ساعة ****

ترك الذنوب والمعاصي:

من أعظم الأسباب كذلك الجالبة للحياة الندم والتوبة من الذنوب والمعاصي.

عن حُدَيْقَة رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعَرَّضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْفُلُوْبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَئُ قَلْبٌ أَشْرِبَكَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيْ قَلْبٌ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوْزِ مجِيئًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا أَشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». ^١

أثر الإعراض عن الحياة على الفرد والمجتمع:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَمُوا بِهَا إِلَّا فَشَاءُ فِيهِمُ الطَّاغُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَاكِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْفُصُمُوا إِلَّا مِكِيلًا وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخْدُوا بِالسَّيْئِنَ وَشِدَّةَ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنْعِيْوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا أَبْهَائِمُ لَمْ يُمْطِرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ

١ - رواه مُسْلِمٌ - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ عَرِبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وإنَّه يأْرِزُ بَيْنَ الْمَسَاجِدِيْنِ، حَدِيثُ رقم:

عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ عَيْرِهِمْ فَأَخْدُوا بَعْضًا مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئْمَانُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَحَيَّرُونَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمْ بَيْنَهُمْ».^١

١ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الْفِتْنَ، بَابُ الْعُقُوبَاتِ، حديث رقم: ٤٠١٩، والبيهقي في شعب الإيمان- الركاة، التشديد على من منع زكاة المال، حديث رقم: ٣٠٤٢، بسنده حسن

التَّقْوَى

من أسباب محبة الله تعالى: التقوى؛ قال الله تعالى: ﴿بَلَى مِنْ أُوْفَى بِعَهْدِهِ وَأَنَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^١.

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَااهَدُوكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفَضُّوْكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمُوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^٢.

وقال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَااهَدُوكُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^٣.

حد التَّقْوَى:

أصل التَّقْوَى: التَّوْقِيِّ إِمَّا يَكُرَهُ لِأَنَّ أَصْلَهَا وَقْوَى مِنَ الْوِقَايَةِ والْحَمَايَةِ والصِّيانَةِ.

وَحْقِيقَتُها: أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِرًا مِنَ الْحَلَالِ.

قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَأَلَ أَبِي بْنَ كَعْبٍ عَنِ التَّقْوَى، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا سَلَكْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: شَرَكْتُ وَاجْتَهَدْتُ، قَالَ: فَذَلِكَ التَّقْوَى.^٤

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَرْكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ.^٥

١ - سورة آل عمران: الآية / ٧٦

٢ - سورة التوبه: الآية / ٤

٣ - سورة التوبه: الآية / ٧

٤ - تفسير البغوي (٦٠ / ١)

٥ - رواه عبد الله بن المبارك في الزهد - باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم: ١٣٤٣ ، وابن أبي شبيه في مصنفه - حديث رقم: ٣٢٣٧٠ ، وابن أبي حاتم - حديث رقم: ٤٥٣ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٤ / ٣)

فضيلة التقوى:

التقوى خير زاد:

عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزرون، ويقولون: نحن المتيكلون، فإذا قدموها مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَرَوُدُوا فِيْنَ حَيْرَ الرَّازِدِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

قيل: اذخروا لأنفسكم الخير بتقوى الله تعالى؛ في الائتمار بأوامره، والانتهاء بنواهيه؛ فإن تقوى الله خير ما يترود ويدخر؛ فإنه باقي، وغيره فان.

كرم العبد تقواه لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَيْرٌ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقائهم» فقالوا: ليس عن هذا نسأل، قال: «فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن حليل الله» قالوا: ليس عن هذا نسأل، قال: «فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا».

١ - رواه البخاري - كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَرَوُدُوا فِيْنَ حَيْرَ الرَّازِدِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، حديث رقم:

١٥٢٣

٢ - التيسير في التفسير (١٣٤ / ٣)

٣ - سورة الحجرات: الآية / ١٣

٤ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاحْكَمَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾، حديث رقم: ٣٣٥٣، ومسلم - كتاب الفضائل، باب: مِنْ فَضَائِلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٧٨

وَعَنْ سَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْحَسَبُ الْمَأْلُ، وَالْكَرْمُ التَّقْوَى».^١

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ مَا يَتَفَاضِلُ بِهِ النَّاسُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمِعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».^٢

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ حُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمُ حَرَامٍ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ» . قَالَ: وَلَا أَذْرِي قَالَ: أَوْ أَغْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا كَحْرُمةٌ يَوْمَكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٠١٠٢ ، الترمذى - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة المُجْزَاتِ، حديث رقم: ٣٢٧١ ، ابن ماجه - أول أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، حديث رقم: ٤٢١٩ ، وصححه الألباني

٢ - رواه البخارى - كتاب التكاليف، باب الأكفاء في الدين وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسِئَةً وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] ، حديث رقم: ٥٠٩١

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٤٨٩ ، بسنده صحيح

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ:

فَالَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ (٤٥) اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾^١.
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ (٥٢) يُلْبِسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرِيقٍ مُتَقَابِلَيْنَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوْجَنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾^٢.
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهَنَرٍ (٤٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُفْتَدِرٍ﴾^٣.
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحْسِنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ».^٤

قال الطيبى قوله: «تقى الله» إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق، بأن يأتي جميع ما أمره به، وينتهي عما نهى عنه، «وَحْسِنُ الْخُلُقِ»، إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق. وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما لدخول النار، فأوقع الفم والفرج مقابلًا لهما، أما الفم فمشتمل على اللسان، وحفظه ملاك أمر الدين كلها، وأكل الحلال رأس التقوى كلها. وأما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]؛ لأن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على العقل، ومن ترك الزنا خوفا من الله تعالى، مع القدرة، وارتفاع المowanع، وتيسير الأسباب - لاسيما عند صدق الشهوة - وصل إلى درجة الصديقين، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَنَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ

١ - سورة الحجر: الآية / ٤٥ ، ٤٦

٢ - سورة الدخان: الآية: ٥١ - ٥٤

٣ - سورة القمر: الآية / ٥٤ ، ٥٥

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٩٦، الترمذى - أبُو بَابُ الْبَرِّ وَالصِّلَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٤، والبخاري في الأدب المفرد - باب حُسْنِ الْخُلُقِ إِذَا فَقَهُوا، حديث رقم: ٢٩٤، وحسنه الألباني

هي المأوى» [النازعات: ٤٠ - ٤١]، ومعنى الأكثريه في القراءتين أن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين هاتين الخلتين، وأن أكثر أسباب الشقاوة الجمع بين هاتين الخلتين».١

تَقَوَّى اللَّهُ تَعَالَى تَجْعَلُ لِلْعَبْدِ نُورًا يَمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ:

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا».٢

قال القرطبي: ذكر بلفظ الشرط، لأنه خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضاً. فإذا اتقى العبد ربه - وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه - وترك الشبهات مخافة الوقوع في الحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل له بين الحق والباطل فرقانًا، ورزقه فيما يريد من الخير إمكاناً.٣

تَقَوَّى اللَّهُ تَعَالَى سَبَبُ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ:

قال تعالى: «إِن تَتَّقُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ».٤

فمفارة الذنب وتکفير السيئات أثر من آثار تقوى الله تعالى للعبد؛ كما قال تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمُ لَهُ أَجْرًا».٥

١ - شرح المشكاة للطبيبي (٣١٢١ : ١٠)

٢ - سورة الأنفال: الآية / ٢٩

٣ - الجامع لأحكام القرآن (٣٩٦ / ٧)

٤ - سورة الأنفال: الآية / ٢٩

٥ - سورة الطلاق: الآية / ٥

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ حَفْظِ الْعَبْدِ مِنْ كِيدِ الْكَائِدِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْأَلُكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُلُهُمْ وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةً يُفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ﴾.^١

قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله، واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاك عنده، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاك، وتتقوا ربكم، فتحافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم، وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله، لا يضركم كيدهم شيئاً: أي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم. ويعني بكيدهم غوايلهم التي يتغونها لل المسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق.^٢

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ النَّصْرِ:

قال الله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصِرُّوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.^٣

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ تَفْرِيْجِ الْكَرْبَلَةِ:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَاهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أُوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهُدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً﴾.^٤

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٢٠

٢ - تفسير الطبراني جامع البيان (٥ / ٧٢٣)

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٢٥

٤ - سورة الطلاق: الآية/ ٢

تَقْوَى اللَّهِ تَجْعَلُ الْعَبْدَ فِي مَعِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.^١

كيف نحقق تقوى الله تعالى؟

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَتَقْوَا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. قال: «أن يطاع ولا يعصى، وأن يشكّر ولا يكفر، وأن يذكر، ولا ينسى».^٢

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمهما كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في المشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يُؤاكله، إلا وإن لكي ملك جهنمي، إلا إن جهنمي الله في أرضه محارمه، إلا وإن في الجسد مضunganة إذا صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب».^٣

وقال أبو الدرداء: تمام التقوى أن يتقي الله العبد، حتى يتقيه من مشهال ذرّة، وحيث يتربأ بعض ما يرى أنه حلال، حشية أن يكون حراماً، حجاها بينة وبين الحرام.

وعن عبادة بن كليب، قال: كتب رجلاً إلى أخي له: أما بعد «فإن استطعت أن تدع مما أحل الله ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرم الله عليك فإن من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام».^٤

١ - سورة البقرة: الآية / ١٩٤

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٥٠٢

٣ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه حديث رقم: ٥٢، ومسلم - كتاب الأبيوعي، باب أخذ الحلال وترك المشبهات، حديث رقم: ١٥٩٩

٤ - الزهد والرقائق لابن المبارك (الملحق ص / ١٩)

٥ - محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٣)

وقال أبو زيد الفيض قال: سأله موسى بن عَائِنَ عن قول الله: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة: ٢٧]، قال: «تَنَزَّهُوا عَنِ أَشْيَاءِ مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةً أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ، فَسَمَّاهُمُ

وَقَالَ الشَّوْرِيُّ: إِنَّمَا سَعُوا الْمُتَّقِينَ لَا يَبْهُمُ اتَّقُوا مَا لَا يَتَّقَىٰ .^٢

وَرُوِيَ عَنْ أبْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أَدْعُ بَيْنِ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سُتُّرَةً مِنَ الْحَلَالِ لَا أَخْرِقُهَا.^٣
وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ: لَا يَسْلِمُ لِلرَّجُلِ الْحَلَالُ حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِزًا مِنَ الْحَلَالِ.^٤

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عِيْنَةَ: لَا يُصِيبُ عَبْدَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِزاً مِنَ الْحَلَالِ، وَحَتَّىٰ يَدْعَ الْأَثْمَ وَمَا تَشَابَهَ مِنْهُ۔

وَعَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَقِينَ حَتَّى يَدْعَ مَا لَا يَأْسَ بِهِ حَدَّرًا لِمَا يَهْ

١ - الورع لابن أبي الدنيا (ص: ٥٩)

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨٤ / ٧)

^٣ - كتاب الورع لأبي بكر المروذى - هلن لِلْوَالِدِين طَاعَةٌ فِي الشُّبُهَةِ، حديث رقم: ١٧٨

٤ - كتاب الوع لأبي بكر المروذى - ما يحلى ويختروم عليه وكيف سليم له الحلال، حديث رقم: ١٥٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفباء (٤ / ٨٤)

^{٤٣٩} - كتاب الورع لأبي بكر المروذى - ترك بعض الحلال مخافة الحرام، حديث رقم:

^٦ رواه الترمذى - أبُو بَرْ صِفَةُ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٥١

^{١٥} وابن ماجه - كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ الْوَرَعِ وَالْتَّقْوَى، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٤٢١٥، وَفِي سِنَدِه ضَعْفٌ

حسنُ الْخُلُقِ

من أسبابِ محبةِ اللهِ تعالى للعبادِ حسنُ الْخُلُقِ؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرِهُ سَفَاسِقَهَا».^١

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا قَضَى، سَمْحًا إِذَا افْتَضَى».^٢
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَسَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، وَسَمْحًا إِذَا قَضَى وَسَمْحًا إِذَا افْتَضَى».^٣

حقيقةُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَبَارِكِ أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ: «هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى».^٤

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٥٩٢٨، والأوسط - حديث رقم: ٢٩٤٠، والحاكم في المستدرك - كتاب الإيمان، حديث رقم: ١٥١، والبيهقي في شعب الإيمان - السابع والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في حسن الخلق، حديث رقم: ٧٦٤٧، بسنده صحيح

٢ - رواه مالك في الموطأ - كتاب القضاء في البيوع، باب في السلف والذين إلى أجل، حديث رقم: ١٦٩، ومعمر بن راشد في جامعه - حديث رقم: ٢١٠٠٤، بسنده صحيح

٣ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - السابع والسبعين من شعب الإيمان. "وهو باب في أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويدخل فيه إماتة الأذى عن الطريق، فصل في إنتظار المعاشر والتجاوز عنه، والرفق بالموسر والوضع عنه، حديث رقم: ١٠٧٤٠"

٤ - رواه الترمذى - أبواب البر والصلة عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم:

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحْمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا افْتَضَى».^١

فَضْلُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.^٢

قيل هذه الآية هي أجمع آية لحسن الخلق.

حسن الخلق يجعل صاحبه أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ حُلُقًا».^٣

قال ابن بطال: أخلاق العبد حسنها وسيئها إنما هي من كسبه و اختياره في حمد على الجميل منها، ويثاب على ما كان منها طاعة ويعاقب على ما كان منها معصية، ولو لا أنها للعبد كسب بطل الأمر به والنهي عنه، وفي قول النبي عليه السلام لمعاذ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ وَخَالِقِ النَّاسَ بِخَلْقِ حَسَنٍ»، البيان عن صحة ما قلناه؛ لأن ذلك لو كان طبعاً في العبد

١ - رواه البخاري - كتاب الأبيوعي، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حفلاً فليطلبها في عفاف، حديث رقم: ٢٠٧٦

٢ - سورة النحل: الآية / ٩٠

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٧٤٠٢، وأبو داود - باب الدليل على زيادة الإيمان ونفعه، حديث رقم: ٤٦٨٢ والترمذى - أبواب الرضاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم: ١١٦٢، والدارمى - ومن كتاب الرفاق، باب في حسن الخلق، حديث رقم: ٢٨٢١، بسنده صحيح

هيأه الله عليه لاستحال الأمر به والنهي عن خلافه، كاستحاله أمر من لا يبصر له بأن يكون له بصر، فلذلك كان الحكماء يوصون بالحسن منه.^١

المُؤْمِنَ يُدْرِكُ بِخُسْنٍ حُلْقِهِ دَرَجَةُ الصَّائِمِ الْقَائِمِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِخُسْنٍ حُلْقِهِ دَرَجَةُ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».^٢

خُسْنُ الْحُلْقِ هو الغاية من بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَنَّمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».^٣

وفي رواية: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَنَّمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».^٤

قال الطحاوي: معنى ذلك عيننا - والله أعلم - أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا بَعَثَهُ لِيُكْمِلَ لِلنَّاسِ دِيَنَهُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُم﴾ [المائدة: ٣]، فَكَانَتْ بَعْثَتُهُ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيُكْمِلَ لِلنَّاسِ أَدْيَاهُمُ الَّتِي قَدْ كَانَ تَعَبَّدُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ

١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٣٤)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٤٥٩٥، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في حُسْنِ الْحُلْقِ، حديث رقم: ٤٧٩٨ ، بسنده صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٩٥٢ ، والبخاري في الأدب المفرد - باب حُسْنِ الْحُلْقِ، حديث رقم: ٢٧٣ ، والحاكم - كتاب تواریخ المتفقین مِنَ الْأَئْبَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ومن كتاب آيات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي هِيَ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ، حديث رقم: ٤٢٢١ ، والخرائطي في مكارم الأخلاق - حديث رقم: ١ ، والبيهقي في الشعب - حديث رقم: ٧٦٠٩ ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَنَّمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" ، حديث رقم: ٤٤٣٢ ، وصححه الألباني

٤ - رواه البزار - حديث رقم: ٨٩٤٩ ، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا الَّتِي مَنْ كَانَ مُتَحَلِّلاً إِمَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُرْوَءَةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي قَبْوُلِ الشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقِ الْأَخْتِصارِ - حديث رقم: ٢٠٧٨٢

أَنْبِيائِهِ بِمَا تَعْبَدُهُ بِهِ مِنْهَا، ثُمَّ كَمَلَهَا عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِقُولِهِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وَالْكُمالُ: هُوَ الْإِتَّامُ، فَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَعْثَتُ لِأَتْقَمِ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"، أَيْ: صَالِحُ الْأَدْيَانِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.^١

صاحب الخلق الحسن أقرب الناس مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مُجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَحْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مُجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ التَّرَاثُرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَقِّهُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا التَّرَاثُرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَقِّهُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».^٢

ولما كان صاحب الخلق الحسن قريباً من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، كان جزاؤه القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرباً حسياً يوم القيمة.

حُسْنُ الْخُلُقِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ:

عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوصِنِي. قَالَ: «اَتَقِ اللَّهَ حَيْمًا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ». قَالَ: زِدِنِي قَالَ: «أَتَبْعِي السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا». قَالَ: زِدِنِي. قَالَ: «خَالِقُ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».^٣

١ - شرح مشكل الآثار (٢٦٣ / ١١)

٢ - رواه الترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معالى الأأخلاق، حدث رقم: ٢٠١٨، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حدث رقم: ٢١٩٨٨ ، والطبراني في الكبير - حدث رقم: ٢٩٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان - حدث رقم: ٧٦٦٠ ، بسند حسن

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: آخِرُ مَا أُوصَانِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَضَعْتُ رِجْلِي فِي الْعَرْزِ أَنْ قَالَ: «أَحْسِنْ حُلْقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ».١

حُسْنُ الْخُلُقِ سَبَبُ سُكْنِي الْفَرْدُوسِ الْأَعُلَى:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبِّ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرْأَةَ وَإِنْ كَانَ مُحِيطًا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ حُلْقَهُ».٢

لما كان لحسن الخلق تلك المنزلة الرفيعة في دين الله تعالى، كان لصاحبها تلك الدرجة المنيفة الشريفة في الجنة، بيت في الفردوس في أعلى الجنة، فكان العلو في الجنة في مقابلة سمو الأخلاق ورفعتها.

حُسْنُ الْخُلُقِ أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».٣

١ - رواه مالك - كتاب حُسْنِ الْخُلُقِ، بابٌ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٦٨٢

٢ - رواه أبو داود - حديث رقم: ٤٨٠٠ ، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٤٨٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات، بابٌ : الْمَرْأَةُ لَا تُرْدُ بِهِ الشَّهَادَةُ مَا لَمْ يَخْرُجْ فِي الْمَرْأَةِ إِلَى عَضُوهُ التَّسْبِيْهِ بِمَحْدِّ أَوْ فَاحِشَةٍ، حديث رقم: ٢١١٧٦ ، وحسنه الألباني

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥١٦ ، وأبو داود - كتاب الأَدَبِ، بابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٤٧٩٩ ، والترمذى - أَبُو الْيَّارِ وَالصَّلِيْلِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابٌ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٢٠٠٣ ، وابن أبي شيبة في مسنده - حديث رقم: ٤٠ ، ومصنفه - حديث رقم: ٢٥٣٢٣ ، وابن أبي عاصم في السنة - بابٌ ذِكْرُ الْمِيزَانِ، حديث رقم: ٧٨٣ ، والخرائطي في مكارم الأخلاق - حديث رقم: ٥٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٧٦٣٨ ، وصححه الألباني

لما كان حسن الخلق سبب قبول الأعمال، وفقده سبباً في ردها، كان حسن الخلق أثقل شيء في ميزان العبد؛ إذ لا قيمة للأعمال مع سوء الخلق؛ أبا هريرة يقول: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إِنَّ فُلَانَةً تَقْوُمُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعُلُ، وَتَصَدِّقُ، وَتُؤْذِي حِيرَانًا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدِّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».^١

ولعل وجه التقييد باللسان أنه أغلب ما يؤذى به وأقوى ما يتآذى له الإنسان كما قال الشاعر:

جَرَاحَاتُ السِّنَانِ هَمَّا الْتَّيَامُ * * * * *
وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

حُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمَرءُ فِي الدُّنْيَا:

عَنْ أَسَاطِةِ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرءُ الْمُسْلِمُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ».^٢

الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ:

عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَعْيَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِيمَنِ، قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِيمَنُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٧٥، والبخاري في الأدب المفرد - بابُ لَا يُؤْذِي جَارُهُ، حديث رقم: ١١٩

٢ - رواه ابن حبان - كتابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بابُ حُسْنُ الْخُلُقِ، ذُكِرَ البَيَانُ بِأَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمَرءُ فِي الدُّنْيَا، حديث رقم: ٤٧٨، بسنده صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بابُ تَقْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِيمَنِ، حديث رقم: ٢٥٥٣

كيف نحقق حُسْنَ الْخُلُقِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيْهِمْ عُمُرُ، وَكَانَ الْفُرَاءُ أَصْحَابَ بَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَارِرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذِنْ الْحَرِّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنْ لَهُ عُمُرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ، فَوَاللَّهِ مَا ثُعْطِيْنَا الْجِزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَعَصَبَ عُمُرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقَعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَرِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، «وَاللَّهُ مَا جَاءَرَهَا عُمُرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ».^١

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، حديث رقم:

الْحَلْمُ

من أسباب محبة الله تعالى: الحلم؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَشَجَّ أَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ حَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحَلْمُ وَالْأَنَاءُ».^١

الْحَلْمُ لِغَةً:

الحلم لغة: الأناء والعقل؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾.^٢

وقيل: الحلم: وهو: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.^٣

الْحَلْمُ شَرْعًا:

والْحَلْمُ شَرْعًا: هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم.^٤

مَنْزِلَةُ الْحَلْمِ فِي الإِسْلَامِ:

للْحَلْمِ فِي الإِسْلَامِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ جُدُّ عَظِيمَةٍ، وَمَكَانَةٌ سَامِيَّةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَرْتَبَةٌ عَالِيَّةٌ مَنِيفَةٌ.

الْحَلْمُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.^٥

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بـالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، حديث رقم: ٢٥

٢ - سورة الطور: الآية / ٣٢

٣ - موسوعة شرح أسماء الله الحسنى (١: ٢١٦)

٤ - التعريفات (١/ ١٢٥)

٥ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٥

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَعْضٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.^١

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ثُبَّدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.^٢

وَعَنْ أَيِّ مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحَدُ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سِعَةٍ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْفُعُهُمْ».^٣

وَعَنْ أَيِّ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَّمَنِي وَمَ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَانَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَمَ أُولَدْ، وَمَ يَكُنْ لِي كُفُّاً أَحَدًّ».^٤

قال ابن جرير الطبرى: ﴿حَلِيمٌ﴾، يعني: أنه ذو أناة، لا يعدل على عباده بعقوتهم على ذنوبهم.^٥

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٥٥

٢ - سورة المائدة: الآية / ١٠١

٣ - رواه البخارى- كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، حديث رقم: ٥٧٥٤، ومسلم- كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، حديث رقم: ٥١٢٣

٤ - رواه البخارى- كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه، حديث رقم: ٤٢٢١

٥ - تفسير الطبرى جامع البيان- ط: هجر (٤ / ٢٨٦)

وقال الخطابي: الحليم: هو ذو الصفح، والأنفة، الذي لا يستفره غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة. والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة. وقد أنعم بعض الشعراء بيان هذا المعنى في قوله:^١

لا يُدْرِكُ الْمَجَدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرِمُوا **** حَتَّى يَذْلِلُوا وَإِنْ عَزُّوا لَا قَوَامٌ

وَيُشْتَمِوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً **** لَا صَفْحٌ دُلٌّ وَلَكِنْ صَفْحٌ أَخْلَامٌ

الْحَلْمُ صِفَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يحب الحلم ويحب المتصفين بصفة الحلم، ويكفي ذلك في الدلالة على أنها في الذروة من مكارم الأخلاق.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأرشح أشجع عبد القيس: «إنَّ فِيكَ حَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحَلْمُ وَالْأَنَّةُ».^٢

وعن أم أيان بنت الوازع بن زارع، عن جديها، زارع وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحينا، فتقليل يدا النبي صلى الله عليه وسلم ورجله، قال: وانتظر الممنذر الأشجح حتى أتى عينته فلبس ثوبه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «إنَّ فيك حلتين يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحَلْمُ وَالْأَنَّةُ» قال: يا رسول الله أنا أتحلق بهما أم الله جباري عليهمما؟ قال: «بِاللَّهِ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قال: الحمد لله الذي جباري على حلتين يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ورسوله.^٣

١ - شأن الدعاء (٦٤، ٦٣)

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، حدث رقم: ٢٥

٣ - رواه أبو داود - أبواب النوم، باب في قبلي الرجل، حدث رقم: ٥٢٢٥

وكان الأشج بن عصر قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبد القيس، وكان سبب وفادتهم أن منقذ بن حيان رجلاً منهم قدم المدينة تاجراً، فمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً، فنهض إليه منقذ وسمع كلامه فسألة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشراف قومه رجل بأسائهم، فأسلم وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ باسم ربك، وكتب معه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومه، وكانوا ينزلون البحرين الخطي وأعيانها وسرة القطيف والسفارة والظهران إلى الرمل إلى الأجرع، ما بين هجر إلى قصر وبينونه ثم الجوف والعيون والإحساء، إلى حد أطراف الدهناء فلما قدم منقذ على قومه كتهم الكتاب، فطفق يصلى ويقرأ فقالت زوجته وهي بنت الأشج لأبيها: إني أنكرت بعلي منذ قدم من يثرب، إنه يغسل أطرافه ويستقبل الجهة يعني القبلة فيحيى ظهره مرة، ويضع جبينه مرة، ذلك ديدنه منذ قدم، فتلاقيا فأخبره الخبر فأسلم الأشج ثم ثار على قومه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم من أسلم منهم ثم تجهزوا وافدين، وذلك قبل الفتح، ولما دنوا من المدينة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجلسائه: "أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق وفيهم الأشج العصري"، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الأشج لأن

الْحَلْمُ دَلِيلُ الْقُوَّةِ:

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعَضَبِ».^٢

١ - بحجة المحافل وبغية الأمثال (٣٨١ / ١)

٢ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٥٧٦٩، ومسلم- كتاب البر والصلة والأداب،
باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: ٤٨٣٠

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ أَصْعَبُ مِرَامًا وَأَفْضَلُ مِنْ مُجَاهَدَةِ الْعُدُوِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا قَوْلُهُ (الصُّرْعَةُ) فَإِنَّهُ يَعْنِي الْكَثِيرَ الْفُؤَادَ الَّذِي يَصْرُعُ كُلَّ مَنْ صَارَعَهُ وَمِثْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: هَذَا رَجُلٌ نُومَةٌ. يَعْنِي كَثِيرَ النَّوْمِ وَحُفْظَةٌ يَعْنِي كَثِيرَ الْحِفْظِ وَقَالَ ابْنُ حَيْبٍ: الصُّرْعَةُ تَتَقْبِيلُ الْكَلِمَةِ بِالْحُرْكَاتِ مَعْنَاهُ الَّذِي يَصْرُعُ النَّاسَ قَالَ: وَالصُّرْعَةُ بِالتَّحْفِيفِ (الرَّجُلُ الْمُضَعِّفُ النَّحِيفُ) الَّذِي يَصْرُعُهُ النَّاسُ حَتَّى لَا يَكَادُ يُثْبِتُ وَكَذَلِكَ الْضُّحْكَةُ بِالتَّقْبِيلِ الَّذِي يُضْحِكُ بِالنَّاسِ وَالْضُّحْكَةُ بِالتَّحْفِيفِ الَّذِي يُضْحِكُ مِنْهُ النَّاسُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعْدُونَ الصُّرْعَةَ فِيهِمْ؟» قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرُعُ الرِّجَالَ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».^٢

الْحَلْمُ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَعْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَعْضَبْ».^٣

قال الخطابي: معنى: «لَا تَعْضَبْ»: هو أن يحدِرُ أسباب الغضب وألا يتعرض للأمور التي تجلب عليه الضجر فتغضبه. فأما نفس الغضب، فطبع في الإنسان لا يمكنه نزعه وإخراجه من جبلته وقد يكون معنى قوله: لا تغضب، أي: لا تفعل ما يأمرك به الغضب ويحملك عليه من القول والفعل.

١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٢٣ / ٦)

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: ٢٦٠٨

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٥٧٧١

وقد قيل: إنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الغَضْبِ الْكَبْرُ، وإنَّما يغضِّبُ الإِنْسَانُ مَا يَتَدَخَّلُهُ مِنَ الْكَبْرِ عِنْدَمَا يَخَالِفُ فِي أَمْرٍ بِرِيدِهِ أَوْ يَعْرَضُ فِي شَيْءٍ يَهْوَاهُ، فَيَحْمِلُهُ الْكَبْرُ عَلَى الغَضْبِ لِذَلِكَ، فَإِذَا تَوَاضَعَ وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ ذَهَبَتْ عَنْهُ عَزَّةُ النَّفْسِ وَمَاتَتْ سُورَةُ الغَضْبِ، فَسُلْطَنٌ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ شَرِهِ.^١

قال ابن رجب: فَهَذَا الرَّجُلُ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوصِيهِ وَجِيَّزةً حَامِيَّةً لِخَصَالِ الْحَيْرِ، لِيَحْفَظَهَا عَنْهُ حَشِيَّةً أَنْ لَا يَعْقَظَهَا لِكَثْرَتِهَا، فَوَصَّاهُ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَغْضَبُ، ثُمَّ رَدَّدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عَلَيْهِ مِرَارًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِدُّ عَلَيْهِ هَذَا الْجَوَابَ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَضَبَ جِمَاعُ الشَّرِّ، وَأَنَّ التَّحْرُرَ مِنْهُ جِمَاعُ الْحَيْرِ.^٢

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ كَظُمَّهَا عَبْدٌ ابْنِعَاءَ وَجْهِ اللَّهِ».^٣

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ مَكْحُولٍ فَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ مَكْحُولٌ: «دَلَّ مَنْ لَا سَفِيَّةَ لَهُ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا يُبَايِعُنِي مِنْ غَضِيبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «لَا تَعْضَبْ».^٤

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنِ اسْتَوْصَاهُ: لَا تَعْضَبْ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

١ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣: ٢١٩٧)

٢ - جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٢)

٣ - رواه ابن ماجه- كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم: ٤١٨٧، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٧٤٢٠ والبيهقي في شعب الإيمان- فصل في ترك الغضب، حديث رقم: ٨٠٥٣: بسنده صحيح

٤ - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان- التاسع والثلاثون من شعب الإيمان فصل في المكافأة بالصنائع، حديث رقم: ٨٨٣١

٥ - رواه أحمد- حديث رقم: ٦٤٦٣، بسنده حسن

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ الْأَمْرُ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُوْجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنَ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ وَالْحَلْمِ وَالْحَيَاءِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْاِحْتِمَالِ وَكَفِّ الْأَذَى، وَالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ، وَكَظِيمِ الْعَيْظِ، وَالطَّلاقَةِ وَالْبِشْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا تَحَلَّقَتْ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ، وَصَارَتْ لَهَا عَادَةً أَوْجَبَ لَهَا ذَلِكَ دَفْعَ الْغَضَبِ عِنْدَ حُصُولِ أَسْبَابِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا تَعْمَلْ بِمُفْتَضَى الْغَضَبِ إِذَا حَصَلَ لَكَ، بَلْ جَاهَدْ نَفْسَكَ عَلَى تَرْكِ تَنْفِيذِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، فَإِنَّ الْغَضَبَ إِذَا مَلَكَ ابْنَ آدَمَ كَانَ الْأَمْرُ وَالنَّاهِيَ لَهُ، وَهُنَّا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٥٤]، فَإِذَا لَمْ يَمْتَشِّلِ الإِنْسَانُ مَا يَأْمُرُ بِهِ غَضَبُهُ، وَجَاهَدْ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ، انْدَفَعَ عَنْهُ شَرُّ الْغَضَبِ، وَرُبَّمَا سَكَنَ غَضَبُهُ، وَذَهَبَ عَاجِلاً، فَكَانَهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَغْضُبْ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَقَعَتِ الإِشَارةُ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَا عَصَيُوا هُمْ يَعْفُرُونَ﴾ [الشُورى: ٣٧]، وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

خطُرُ الاتصافِ بالغَضَبِ:

الْغَضَبُ يَجْمِعُ الشَّرَّ كُلَّهُ:

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ «لَا تَغْضِبْ». قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ فَكَرِّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمِعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.٢

١ - جامع العلوم والحكم (٣٦٤ / ١)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٥٨٨، والبيهقي في السنن - كتاب آداب القاضي، باب لا يقضي وهو غضبان، حديث رقم: ١٨٨٥٨، بسنده صحيح

قال في الإحياء: حقيقة الغضب: هو غليان الدم لطلب الانتقام، والناس في قوة الغضب على درجات، فمن قويت نار الغضب في وجهه، أعمته، وأصمته عن كل موعظ وإرشاد.^١

من صور الحلم:

حِلْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ يُرْدُ نَجْرَانِي عَلَيْظُ الْحَاشِيَةِ»، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيُّ فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرَتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اثْرَتْ إِلَيْهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحَّى، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءِ».^٢

حِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِيمٌ عَيْنِيَّةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرْ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِيْهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْفَرَاءُ أَصْحَابَ مَحَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوِرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَابًا فَقَالَ عَيْنِيَّةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحُرَّ لِعَيْنِيَّةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِنَا الْجِرْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقَعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١ - توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٤٢٢: ٧)

٢ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، حديث رقم: ٥٧٤، ومسلم- كتاب الركاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، حديث رقم: ١٨١٣

﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ . وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ وَاللَّهُ مَا جَاءَرَهَا عُمُرٌ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافَا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ﴾ .^١

ثُرَّةُ الْحَلْمِ:

الْحَلْمُ جَزَاءُ الْجَنَّةِ:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهْنَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِدَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخْرِجَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ».^٢

وَمِنْهُ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا»؛ أَيْ: بَحْرَعَهُ، وَاحْتَمَلَ سُبْبَهُ، وَصَبَرَ عَلَيْهِ، «وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِدَهُ»؛ أَيْ: وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِمْضَايِهِ وَإِيقَاعِ مَا يَشْفِي غَيْظَهُ بَعْدَهُ، «دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخْرِجَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ»، أَيْ: نَادَاهُ مَنَادٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ مِنْهَا حِينَ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ.^٣

كَيْفَ نَجْعَلُ الْحَلْمَ صَفَةً لَنَا وَهِيَ رَاسِخَةٌ فِي نُفُوسِنَا؟

تَكْلُفُ الْحَلْمِ:

وَمَعْنَاهُ أَنْ يَتَصْنَعَ الإِنْسَانُ الْحَلْمَ وَيَتَطَبَّعُ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ سَجِيَّةً وَطَبِيعَةً فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالِّتَّعْلِمِ، وَإِنَّمَا الْحَلْمُ بِالِّتَّحْلِمِ، مَنْ

١ - رواه البخاري - سُورَةُ الْأَغْرَافِ، باب: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، حدث رقم: ٤٦٤٢

٢ - رواه أحمد - حدث رقم: ١٥٦٣٧، وأبو داود - كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، حدث رقم: ٤٧٧٧ والترمذى - أباواش البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في كظم العيظ، حدث رقم: ٢٠٢١، وابن ماجه - كتاب الرهبة، باب الحلم، حدث رقم: ٤١٨٦، بسنده حسن

٣ - شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨ : ٤٢٥)

يَتَحَرَّى الْخَيْرُ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَقَّى الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَفُولُ
لِكُمُ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَدَهُ مِنْ سَفَرٍ تَطَيْرُ». ^١

استحضار الأجر العظيم الذي أعدَهُ الله تعالى لمن اتصف بالحلم:

فَالَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِنْ رِبْكَمَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾. ^٢

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تخرج عبد جرعةً أفضل عند الله عز وجل من جرعة غيظ، يكظمها ابتعاء وجه الله تعالى». ^٣

وعن معاذ بن أنس الجهمي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفيه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلاقي يوم القيمة حتى يخربه الله من الخوار ما شاء». ^٤

التَّائِسيُّ بِأَهْلِ الْحَلْمِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْأَبْلِيلِ، وَأَعْطَى عَيْنَيْتَهُ مِثْلَ ذَلِكَ،

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٧٦٣ ، ورواه في الأوسط، حديث رقم: ٢٧١٦ ، وقال الألباني: حسن لغيره،
انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤٢

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣٣ ، ١٣٤

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦١١٤ ، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٣٩٩٤ ، بسنده صحيح

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٣٦١ ، وأبو داود - كتاب الأدب، باب من كظم غيظا، حديث رقم: ٤١٦٨ ،
والترمذني - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب في كظم الغيظ، حديث: ١٩٩٤ ، وابن ماجه -
كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم: ٤١٨٤ ، بسنده حسن

وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآتَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا حُبْرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَعَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: فُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا».^١

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَائِنِي أَنْظُرْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءَ ضَرَبَهُ قَوْمٌ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّمَا لَا يَعْلَمُونَ».^٢

التعوذ بالله تعالى عند سورة الغضب:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَرَ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ عَضْبُهُ حَتَّى انْتَفَحَ وَجْهُهُ وَتَعَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ» فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَقَالَ: أَتَرَى بِي بِأَسْ، أَمْ جُنُونٌ أَنَا، اذْهَبْ.^٣

١ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، حديث رقم: ٣٤٠٥، ومسلم- كتاب الرِّكَاة، بابٌ إعطاء المؤلفة فُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصْبِرُ مِنْ قَوْيِ إِيمَانُهُ، حديث رقم: ١٠٦٢

٢ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، حديث رقم: ٣٤٧٧

٣ - رواه البخاري- كتاب الأدب- باب ما ينهى من السباب واللعنة- حديث رقم: ٥٧٠٨، ومسلم- كتاب البر والصلة والأداب- باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: ٤٨٣٢

تغيير الهيئة:

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الغضب حمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوذاجه وإلى أحمرار عينيه، فإذا وجد أحدكم ذلك، فإن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليتوك». ^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا حشى أحدكم أن يجهل أخي جهل عليه، فكان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليمس جنبه الأرض». ^٢

الوضوء:

قال الإمام أحمد حديثنا إبراهيم بن حالي، قال: حدثنا أبو وائل صنعاني مradi، قال: كنا جلوساً عند عروة بن محمد قال: إذ أدخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه، قال: فلما أن غضب قام، ثم عاد إلينا وقد توضأ، فقال: حدثني أبي عن عطية - وقد كانت له صحبة - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان حلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ. ^٣

وقيل:

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي كَتِيبَتَهُ
يَوْمَ النَّزَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ

١ - رواه عمر بن راشد- الغضب والغيظ وما جاء فيه، حديث رقم: ٨٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان- التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، فصل في ترك الغضب، حديث رقم: ٨٠٣٨

٢ - رواه ابن وهب في جامعه- كتاب الصمت، في الكلام لما لا ينبغي ولا يحسن، حديث رقم: ٣٦١

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٦٧٦، وأبو داود- كتاب الأدب- باب ما يقال عند الغضب- حديث رقم: ٤١٧٣

بسند ضعيف

لَكِنْ فَتَى غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى بَصَرًا **** عن الْحَرَامِ، فَذَاكَ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

وَعَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ جُحَادَةَ قَالَ: كَانَ الشَّعْيِي مِنْ أُولَئِنَا بِهَذَا الْبَيْتِ:

لِيْسُ الْأَحْلَامُ فِي حِينِ الرِّضَا **** إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الْغَضَبِ

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يُعْرَفُ الْحَلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَنَاهِيَةِ:

أَتَقْلِبُ طَرْفِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةً **** لِأَعْلَمَ مَا فِي النَّاسِ وَالْقُلُوبُ يَنْقَلِبُ

فَلَمْ أَرَ كَذِيزًا كَالْقُنْوَعِ لِأَهْلِهِ **** وَأَنْ يُجْمِلَ الْإِنْسَانُ مَا عَاشَ فِي الْطَّلْبِ

وَلَمْ أَرَ عَفْهًا لَا تَمَّ إِلَّا عَلَى أَدَبِ **** وَلَمَ أَرَ فَضْلًا صَحَّ إِلَّا عَلَى التَّقْوَى

وَلَمَ أَرَ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ حَرَثُهُمْ **** عَدُوًا يَفْعَلُ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبِ

وَغَضِيبٌ يَوْمًا عُمْرُ بْنٌ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَحْمَهُمَا اللَّهُ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَعَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ بِهِ تَعْضُبُ هَذَا الْغَضَبَ؟

فَقَالَ لَهُ: أَوَمَا تَعْضُبُ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ؟

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَمَا يُعْنِي عَنِي سَعَةُ جَوْفِي إِذَا لَمْ أَرْدِدْ فِيهِ الْغَضَبَ حَتَّى لَا يَظْهَرَ؟^١

فَهُؤُلَاءِ قَوْمٌ مَلَكُوا أَنفُسَهُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١ - ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٢ / ٢٢٢)

وعن أبي سعید رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا إِنَّ الْعَصَبَ جَمَرٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَمَّا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنِيهِ، وَانْتِقَاحِ أُوذَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيُلْصِقْ بِالْأَرْضِ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءً لِلْعَصَبِ، سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَشَرَارَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْعَصَبِ، بَطِيءً لِلْفَيْءِ». ^١

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: «إِذَا عَصَبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجِلسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْعَصَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ». ^٢

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مُورِقِ الْعِجْلِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: مَا امْتَلَأْتُ عَيْظًا قَطُّ، وَلَا تَكَلَّمْتُ فِي غَصَبٍ قَطُّ إِمَّا أَنَّمُ عَلَيْهِ إِذَا رَضِيْتُ. ^٣

فَالْجَعْفُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ: الْعَصَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرِّ.

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رضي الله عنه عن حُسْنِ الْخُلُقِ، مَا هُوَ؟ فَقَالَ: كُفُّ الْأَذَى، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ وَأَنْ لَا تَعْصَبَ. ^٤

وَقَيْلَ لَهُ: اجْمَعَ لَنَا حُسْنَ الْخُلُقِ فِي كَلِمَةٍ، قَالَ: تَرُكُ الْعَصَبِ.

وَكَذَا فَسَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيِّهِ حُسْنَ الْخُلُقِ بِتَرْكِ الْعَصَبِ.

وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ مَرْفُوعًا، حَرَّجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْووزِيُّ فِي كِتَابِ: (الصَّلَاة)، وَالخَرَائِطيُّ فِي مَسَاوِيِّ الْأَخْلَاقِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّحْنَةِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١١١٤٣، والحاكم- كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم: ٨٥٤٣، وأبو داود الطيالسي- حديث رقم: ٢٢٧٠، ومعمر بن راشد في جامعه- العصب والعيظ وما جاء فيه، حديث رقم: ٢٠٢٨٩، والخرائطي في مساوئ الأخلاق- باب في ذم العصب وما يربله عند كونه، حديث رقم: ٣٠٩، والبيهقي في شعب الإيمان- حسن الخلق، فصل في ترك العصب وفي كظم الغيظ والغفو عن المقدرة، حديث رقم: ٧٩٣٦

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٣٤٨، وأبو ذؤد- كتاب الأدب، باب ما يقال عند العصب، حديث رقم: ٤٧٨٢،

بسند صحيح

٣ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٢ / ١١)

٤ - تعظيم قدر الصلاة لحمد بن نصر المروزي (٢ / ٨٦٣)

قِبْلِ وَجْهِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «خُسْنُ الْخُلُقِ» ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ فَقَالَ: «خُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ شِمَائِلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «خُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي: مِنْ خَلْفِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَالِكُ لَا تَفْقُهُ! خُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ لَا تَعْصِبَ إِنْ اسْتَطَعْتَ».^١

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ عُصِمَ مِنَ الْهُوَى، وَالْعَصَبِ، وَالظَّمَعِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: أَرَبَّعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالْعَصَبِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِيمَانِ: مَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُدْخِلْهُ غَضَبَهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يُخْرِجْهُ رِضَاًهُ مِنْ حَقٍّ، وَمَنْ إِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطِ مَا لَيْسَ لَهُ».^٢

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ جَنَاحٍ: "أَعْلَمُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ، مَنْ يَجْهَلُ إِذَا حَلْمَتْ عَنْهُ، وَيَخْلُمُ إِذَا جَهِلَتْ عَلَيْهِ، وَيُخْسِنُ إِذَا أَسْأَتَ بِهِ، وَيُسْيِرُ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، وَيُنْصِفُكَ إِذَا ظَلَمْتَهُ، وَيَظْلِمُكَ إِذَا أَنْصَفْتَهُ، فَمَنْ كَانَ هَذَا حُلْقَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ حُلْقٍ يُنْصَفُهُ مِنْ حُلْقِهِ، ثُمَّ تَجِهَ بِنِصْفٍ مِنْ تَحْتِهِ وَجَهَهَا لِهِ تَقْدُحُ مِنْ جَهَاهَتِهِ، وَإِلَّا ذَلِكَ، لَاَنَّ بَعْضَ الْحَلْمِ إِذْعَانٌ، وَقَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ سَفِيهُ يُعَضِّدُهُ، وَضَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَلِيمٌ يُرِشدُهُ، وَفِي الْجَهَاهَةِ وَنَفْعُهَا الإِحْسَانُ" يَقُولُ:

لَئِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحَلْمِ إِنِّي * * * * * إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَخْاَيِينَ أَخْرُوجُ

١ - كتاب الصَّلَاةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصَرِ الرَّوْزِيِّ - جَمَاعُ تَقْسِيرِ النَّصِيْحَةِ، حديث رقم: ٨٧٨، والخرائطي في مساواة الأُخْلَاقِ -

حديث رقم: ٣٤٠

٢ - رواه الطبراني في الصغير - حديث رقم: ١٦٤

وَلِيْ فَرَسٌ لِلْجَهَلِ بِالْجَهَلِ مُلْجَمٌ **** وَلِيْ فَرَسٌ لِلْجَهَلِ بِالْجَهَلِ مُلْجَمٌ
وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْحِي فَإِنِّي مُعَوْجٌ **** وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْحِي فَإِنِّي مُعَوْجٌ
وَلَكِنَّنِي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُخْرَجٌ **** وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهَلَ خِدْنَا وَلَا أَخَّا
فَقَدْ صَدَقُوا وَالذُّلُّ بِالْحُزْنِ أَسْمَجٌ **** فَإِنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهِ سَمَاجَةٌ

الفهرس

٢	مقدمة
٤	إثبات صفة المحبة لله تعالى
٧	يُجْبِهُمْ وَيُحِبُّونَهُ
٨	ثمرة محبة الله تعالى للعبد:
١١	الإحسان الإحسان
١٤	منزلة الإحسان:
١٤	الإحسان صفة كُلِّ شيء:
٢٥	الحب في الله تعالى
٢٨	فضل مصاحبة الأخيار واتخاذ الإخوان الصالحين:
٢٨	الأخوة الإيمانية تحقق محبة الله تعالى:
٣٠	الأخوة الإيمانية تمنع من الوقوع في المعاصي:
٣١	الأخوة الإيمانية تعين على طاعة الله تعالى:
٣١	الأخوة الإيمانية توجب لأصحابها الاستظلال بظل الله تعالى يوم لا ظله:
٣٢	الأخوة الإيمانية من النعم التي امتن الله تعالى بها علينا:
٢٧	الأخوة الإيمانية سبب في استشعار حلاوة الإيمان:
٣٣	الأخوة الإيمانية عدّة في الدنيا والآخرة:
٣٣	العناية باختيار الأصحاب:
٣٤	الصاحب ساحب:
٣٧	حقوق الأخوة ولوازمهها:

رد غبيته والمنافحة عن عرضه:	٣٧
الدعاء له في حياته وبعد موته:	٣٧
النصيحة في الله تبارك وتعالى:	٣٨
من أقوال السلف في الأخوة:	٣٩
الصَّابِرُ	٤٢
فضل الصبر ومنزلته عند الله تعالى:	٤٢
الصبر من صفات الله تعالى:	٤٢
الله تعالى يحب الصابرين:	٤٣
الصبر أوسع عطاء:	٤٣
الصبر قرين النصر:	٤٣
الصبر من عزم الأمور:	٤٤
الصبر صفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:	٤٤
الصبر نصف الدين:	٤٥
الصابر في معية الله تعالى:	٤٦
أجر الصابر لا يعلمه إلا الله تعالى:	٤٦
أنواع الصبر:	٤٧
الصبر على الطاعات:	٤٧
الصبر عن المعاصي:	٤٧
الصبر على المصائب:	٤٨
الصَّابِرُ ضِيَاءُ:	٥١

قالوا عن الصبر:	٥٣
الفرق بين النافلة والفرضية:	٥٤
من صور التوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى:	٥٥
الصيام:	٥٥
الصلاحة:	٥٦
الصدقة:	٥٦
الأسباب المعينة على التقرب لله بالنافل:	٥٧
الاستعانة بالله:	٥٧
معرفة فضائل العبادات:	٥٧
استشعار العجز والتقصير:	٦٠
أثر التوافل على العبد في الآخرة:	٦١
لعل نجاتك في فعل نافلة:	٦١
التَّطَهُّرُ:	٦٣
فضل التَّطَهُّرُ:	٦٣
الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ:	٦٣
الظُّهُورُ سبب مغفرة الذنوب:	٦٤
الظُّهُورُ من سمات أهل الإسلام:	٦٥
الظُّهُورُ علامة المؤمنين يوم القيمة:	٦٦
الظُّهُورُ من أعظم أسباب دخول الجنة:	٦٦
التحذير من الاعتداء في الظهور:	٦٧

.....	التَّوْبَةُ ٦٨
.....	فضل التوبة ومنزلة التائبين عند الله تعالى: ٦٨
.....	الْتَّوْبَةُ سَبَبٌ فِي تَبْدِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَيِّئَاتِ الْعَبْدِ حَسَنَاتٍ: ٧٠
.....	الْتَّوْبَةُ سَبَبٌ لِسَعَادَةِ الْعَبْدِ: ٧١
.....	الْتَّوْبَةُ سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ٧١
.....	الْمَدَوِّمَةُ عَلَى التَّوْبَةِ عَلَامَةٌ عَلَى حَسَنِ الْخَاتِمَةِ: ٧٢
.....	الْتَّوْبَةُ سَبَبٌ لِمَحْبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: ٧٣
.....	تَوْبَةُ الْعَبْدِ الْعَاصِيِّ: ٧٤
.....	أَرْكَانُ التَّوْبَةِ: ٧٥
.....	النَّدَمُ: ٧٥
.....	الْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ: ٧٦
.....	الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعُودِ: ٧٧
.....	الْتَّوْبَةُ وَظِيفَةُ الْعُمَرِ: ٧٨
.....	مَوَانِعُ قَبْولِ التَّوْبَةِ: ٧٩
.....	الْتَّوْبَةُ عَنِ الْحَشْرَجَةِ وَمَعايِنَةِ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ: ٧٩
.....	الْتَّوْبَةُ عَنِ طَلَوْعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا: ٨٠
.....	الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٨٢
.....	النَّاسُ فِي الْجِهَادِ طَرْفَانٌ وَوَسْطٌ: ٨٣
.....	الْحَكْمَةُ مِنْ تَشْرِيعِ الْجِهَادِ فِي الإِسْلَامِ: ٨٣
.....	فَضْلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: ٨٤

لِيسُ فِي الْإِسْلَامِ عَمَلٌ يَعْدِلُ الْجِهَادَ:	٨٤
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عَمَلٍ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى:	٨٥
فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ:	٨٥
تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ يَجَاهُ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنَّ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ:	٨٦
أَثْرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجِهَادِ:	٨٧
الذُّلُّ:	٨٧
الوقوعُ فِي الْكُفْرِ وَالنُّفَاقِ:	٨٧
الْعَدْلُ	٨٩
الْعَدْلُ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ:	٨٩
إِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَقاصِدِ الشَّرْعِ:	٨٩
الْعَدْلُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى:	٩١
الْعَدْلُ بَيْنَ النِّوْجَاتِ:	٩١
الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ:	٩١
خَطَرُ الظُّلْمِ:	٩٢
حَدُّ الظُّلْمِ:	٩٢
حُكْمُ الظُّلْمِ:	٩٢
حُكْمُ مُجَالِسَةِ الظَّلْمَةِ:	٩٤
مُجَالِسَةُ الظَّالِمِ مُحْرَمَةٌ بِنَصِّ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى:	٩٤
مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الظُّلْمِ:	٩٤
مِنْ صُورِ الظُّلْمِ:	٩٥

.....	الشِّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى:
..... ٩٥ ظلم العبد لغيره:
..... ٩٦ ظلم العبد لنفسه:
..... ٩٦ عَاقِبَةُ الظُّلْمِ:
..... ٩٦ عِقَابُ الظُّلْمِ فِي الدُّنْيَا:
..... ٩٦ الظالم يتقلب في سخط الله تعالى:
..... ٩٧ تعجيل العقاب للظالم في الدنيا مع ما ينتظره في الآخرة:
..... ٩٧ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ مُسْتَجَابَةً:
..... ٩٩ من العقاب على الظلم في الدنيا تحريم الطيبات
..... ٩٩ الظَّالِمُ أَبْعَدَ النَّاسَ عَنْ هُدَى اللَّهِ تَعَالَى:
..... ٩٩ ومن العقاب في الدنيا الهالك العام
..... ١٠٠ عِقَابُ الظُّلْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
..... ١٠٠ الْقَصَاصُ مِنَ الظَّالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
..... ١٠١ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
..... ١٠٢ الظُّلْمُ مِنْ أَسْبَابِ العَذَابِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
..... ١٠٣ الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ:
..... ١٠٣ معنى الولاء والبراء:
..... ١٠٤ منزلة الولاء والبراء:
..... ١٠٤ الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ:
..... ١٠٤ الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ أَوْثُقُ عُرْقِيِّ الإِسْلَامِ:

المرءُ معَ مَنْ أَحَبَّ:	١٠٥
الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ مِنْ عِقِيدةِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَمْرَنَا بِالتَّأْسِيِّ بِهِ:	١٠٥
لوازم الولاء والبراء:	١٠٦
عدم اتخاذ الكفار بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ:	١٠٦
عدم مناصرة الكفار على المؤمنين:	١٠٦
عدم التشبه بهم:	١٠٧
عدم الاحتفال بأعيادهم:	١٠٨
أثر مولاية اعداء الله ومعاداة أولياء الله:	١٠٩
من تولى قوماً كان منهم وحشر يوم القيمة معهم:	١٠٩
موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين سبب سخط الله تعالى:	١١٠
موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين سبب ضياع الإيمان:	١١٠
موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين يقطع صلة العبد بالله تعالى:	١١٠
موالاة الكفار من أخص صفات المنافقين:	١١٠
فوائد:	١١١
الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ لَا يَنْافِي الْعَدْلِ:	١١١
الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ لَا يَنْافِي الْبَرِّ:	١١١
الصَّدَقَةُ	١١٣
فضائل الصَّدَقَةِ:	١١٣
مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا أَظْلَلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمًا لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:	١١٣
مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ كَانَ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:	١١٤

الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ:.....	١١٤
الصدقةُ وقايةٌ لصاحبها من صنوفِ البلاءِ:	١١٥
صدقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ عَصْبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:	١١٥
اللهُ تباركَ وَتَعَالَى يبارُكُ في الصَّدَقَاتِ وَيُرِيكُهَا لِصَاحِبِهَا:.....	١١٦
ثُبُوتُ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا:	١١٦
الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:.....	١١٧
الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ:	١١٧
مَنْ أَنْفَقَ أُنْفِقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَحْصَى أُحْصِيَ عَلَيْهِ:.....	١١٨
الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ:	١١٨
الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ مِنَ الْأَدْوَاءِ:.....	١١٩
أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ أَجْرًا:	١٢٠
الصدقة مما يحب:	١٢٠
الصدقة من الحلال الطيب:	١٢٠
الصدقة حال الصحة وطول الأمل:.....	١٢١
جهد المقل:	١٢١
قِيَامُ اللَّيْلِ.....	١٢٢
فضل قيام الليل:	١٢٢
قِيَامُ اللَّيْلِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:	١٢٢
قِيَامُ اللَّيْلِ يرقى بصاحبِه إلى أعلى درجاتِ الْجَنَّةِ:	١٢٣
قِيَامُ اللَّيْلِ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ:.....	١٢٣

١٢٤.....	قِيَامُ اللَّيْلِ ذَأْبُ الصَّالِحِينَ:
١٢٥.....	قِيَامُ اللَّيْلِ وصِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ:
١٢٦.....	قِيَامُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ:
١٢٦.....	قِيَامُ اللَّيْلِ يَجْعَلُ الْعَبْدَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:
١٢٧.....	قِيَامُ اللَّيْلِ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ:
١٢٨.....	وَسَائِلُ مَعِينَةٍ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ:
١٢٨.....	أَنْ يَسْأَلُ الْمُسْلِمُ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِعْانَةُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ:
١٢٨.....	أَنْ يَسْتَحْضُرُ فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ:
١٢٩.....	الْعِلْمُ بِأَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ شَرْفٌ لِلْمُؤْمِنِ:
١٢٩.....	تَرْكُ الذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي:
١٣١.....	مَتَابِعُهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....
١٣١.....	آثَارُ تَحْقِيقِ مَتَابِعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١٣١.....	مَتَابِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُ مَحْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى:
١٣١.....	مَتَابِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى:
١٣٢.....	مَتَابِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُ الْمَغْفِرَةِ:
١٣٢.....	مَتَابِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُ هُدَايَةِ اللَّهِ لِلْعِبَادِ:
١٣٢.....	مَتَابِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبُ الشَّرْبِ مِنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
١٣٣.....	مِنْ صُورِ مَتَابِعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١٣٣.....	مِنْ الْمَتَابِعِ التَّأْسِيِّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفَعْلٍ:
١٣٣.....	مِنْ الْمَتَابِعِ الْعَمَلِ بِسُنْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

من المتابعة تحكيمه صلى الله عليه وسلم والرضي بحكمه:.....	١٣٤
صور من متابعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:.....	١٣٥
التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ.....	١٣٩
فضل تحقيق التوكيل على الله تعالى:.....	١٣٩
التوكيل على الله من أسباب دخول الجنة:.....	١٣٩
التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ دليل الإيمان:.....	١٤٠
مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَاهُ:.....	١٤١
التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ لَا ينافي الأخذ بالأسباب:	١٤١
الْحَيَاةُ	١٤٤
تعريف الحياة:.....	١٤٤
منزلة الحياة في الإسلام:.....	١٤٤
الحياة من الإيمان:.....	١٤٤
الحياة من صفات الله تعالى:.....	١٤٥
الحياة من صفات الملائكة الأبرار:.....	١٤٥
الحياة خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:.....	١٤٦
الحياة من شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم:.....	١٤٦
الْحَيَاةُ خَلْقُ الْإِسْلَامِ:	١٤٧
الْحَيَاةُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ:	١٤٧
الحياة زينة كل شيء:.....	١٤٨
الحياة شريعة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:.....	١٤٨

الحياة رأس مكارم الأخلاق:	١٤٩
الحياة سمة الصالحين:	١٤٩
الحياة خيرٌ لباسٍ:	١٥٠
الحياة كله خير ولا يأتي إلا بخير:	١٥٠
كيف نحقق الحياة في حياتنا؟	١٥٢
تكلف الحياة ومعناه أن يتصنع الإنسان الحياة ويتطبع به حتى يصير له سجية وطبعاً:	١٥٢
حفظ الجوارح من الحرام وهو من أعظم الأسباب الجالبة للحياة:	١٥٢
ترك الفحش من الكلام فإنه علامة قلة الحياة:	١٥٢
تعلم هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعته والتحلّق بأخلاقه:	١٥٣
محالسة الصالحين، ومخالطة الأتقياء:	١٥٣
اعتزال السفلة ورداع الناس وتجنب مخالطة الفساق:	١٥٤
استحضار نعم الله تعالى على العبد واستشعار التقصير في أداء شكرها:	١٥٤
استشعار معية الله تعالى:	١٥٥
ترك الذنوب والمعاصي:	١٥٥
أثر الإعراض عن الحياة على الفرد والمجتمع:	١٥٦
التَّقْوَى التَّقْوَى	١٥٧
حد التَّقْوَى:	١٥٧
فضيلة التَّقْوَى:	١٥٨
التَّقْوَى حَيْرَ زَادِ:	١٥٨
كَرَمُ الْعَبْدِ تَقْواهُ لَهُ تَعَالَى:	١٥٨

تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ مَا يَتَفَاعَلُ بِهِ النَّاسُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى: ١٥٩
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: ١٦٠
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى تَجْعَلُ لِلْعَبْدِ نُورًا يَمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: ١٦١
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ مَغْفِرَةِ الذَّنَوبِ: ١٦١
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ حَفْظِ الْعَبْدِ مِنْ كِيدِ الْكَائِدِينِ: ١٦٢
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ النَّصْرِ: ١٦٢
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبَبُ تَفْرِيجِ الْكَرَبَاتِ: ١٦٢
تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى تَجْعَلُ الْعَبْدَ فِي مَعِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى: ١٦٣
كَيْفَ نَحْقِقُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؟ ١٦٣
حُسْنُ الْخُلُقِ ١٦٥
حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ: ١٦٥
فَضْلُ حُسْنِ الْخُلُقِ: ١٦٦
حُسْنُ الْخُلُقِ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: ١٦٦
الْمُؤْمِنُ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْفَائِمِ: ١٦٧
حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ الْغَايَةُ مِنْ بَعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٦٧
صَاحِبُ الْخُلُقِ الْحَسَنُ أَقْرَبُ النَّاسِ لِمَحْلِسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٦٨
حُسْنُ الْخُلُقِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: ١٦٨
حُسْنُ الْخُلُقِ سَبَبُ سُكْنِ الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى: ١٦٩
حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْتَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيرَانِ: ١٦٩
حُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا: ١٧٠

١٧٠.....	البِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ:
١٧١.....	كيف نحقق حُسْنَ الْخُلُقِ:
١٧٢.....	الْحَلْمُ.....
١٧٢.....	الْحَلْمُ لغَةً:
١٧٢.....	الْحَلْمُ شَرْعًا:
١٧٢.....	مَنْزِلَةُ الْحَلْمِ فِي الإِسْلَامِ:
١٧٢.....	الْحَلْمُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى:
١٧٤.....	الْحَلْمُ صِفَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
١٧٥.....	الْحَلْمُ دليل القوة:
١٧٦.....	الْحَلْمُ وصية النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ:
١٧٨.....	خطر الاتصاف بالغضب:
١٧٨.....	الْعَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ:
١٧٩.....	من صور الْحَلْمِ:
١٧٩.....	حِلْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١٧٩.....	حِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
١٨٠.....	ثَمَرَةُ الْحَلْمِ:
١٨٠.....	الْحَلْمُ جزاءُ الجَنَّةِ:
١٨٠.....	كيف نجعل الْحَلْمَ صفةً لنا وهيئَةً راسخَةً في نُفُوسِنَا؟
١٨٠.....	تَكْلُفُ الْحَلْمِ:
١٨١.....	استحضارُ الأَجْرِ العظيمِ الذي أَعْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنِ اتَّصَفَ بِالْحَلْمِ:

١٨١.....	التَّأْسِي بِأَهْلِ الْخَلْمِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.....
١٨٢.....	الْتَّعْوِذُ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدِ سُورَةِ الْغَضَبِ:
١٨٣.....	تَغْيِيرُ الْهَيَّةِ:
١٨٣.....	الْوَضْوَءُ:
١٨٨.....	الْفَهْرِسُ.....